



دراسات أدبية

دراسات أدبية

وقف مع الشعر والشعراء

جليلة رضا

الجزء الثاني



دراسات أدبية



وقفه مع الشعر والشعراء

جليلة رضا

الجزء الثاني



المكتبة العامة والوثائقية

١٩٨٩

كلمة

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وقفة مع الشعر
والشعراء » لم استخدم فيه - ولا في الجزء الأول - الحروف
الهجائية لترتيب الشعراء *

ولكنى استخدمت الزمن الذى أسعدنى بالحصول على
ديوان كل شاعر ووقفتى أمامه ومشاركتى له الوجدان *

والله ولى التوفيق

جليلة رضا

الدكتور أحمد هيكل في ديوانه
أصداء الناي

ظاهرتان قويتان فى ديوان « أصداء النأى » للشاعر
الدكتور أحمد هيكمل هما . . . الحرية . . . والسلام .

ولقد استطعت أن أستاف رائحة عطرهما النفاذ فى كل
زاوية من قصيدة وكل ركن من بيت فى هذا الديوان .

هذا ما لفت نظرى خلال قراءته .

وذلك هو احساسى بعد قراءته .

ان الديوان يحمل فى أعماقه كنزين ثمينين : حرية . .
وسلام .

اذن . فأهم وأبرز سمات شاعرنا هو نزوعه الى الحرية
بكل ما تملك من انطلاق للارادة واعتداد بالنفس .

ثم ميله الى السلام بما فيه من خير للناس واسعاد للبشر .
لذلك تكررت كلمة الحرية فى قصيدته الأولى ولو لم يوجهها
الشاعر الى طيف الحرية لخلناه يناجى معشوقة أنثى فاتنة
ساحرة .

يقول الشاعر :

دمى عينيك فى عينى ترتاحان فى الظل الحنون

فياكم عاشتا بالسهد تحترقان فى نار الجنين

وياكم طافتا فى أوجه الدنيا وآلاف العيون

ولكن الشاعر يحاول أن يبعد ذكرى الماضى بما فيه من
بعد وهجر لحبيبته « الحرية » ويتذكر أيامه الحاضرة وفرحته
بلقياها وتنعمه بوصالها فيقول :

دعيني أنتشى من عطرك المنساب من نفح الحنان

فقد عايشت هذا العطر حتى صار روحا فى كيائى

ولما غاب عشت القهر والحerman مؤود الأمانى

وحتى الآهة الغرساء كانت من محاذير الزمان

دعيني أحتفى فى الواحة الخضراء من بعد الهجير

أغنى طائرا فى أفقك المنسوج من عطر ونور

ولقد قلت مرارا اننى أحتفى بكل مذهب شعرى المس
فيه لمسات الأصالة والجدة •

وأثبت أكثر من مرة أن المشكلة ليست فى أسلوب التعبير
كلاسيكيا كان أو حرا •

انما المشكلة فى قدرة الشاعر وطاقته الفنية وإيمانه
بمضمون شعره • • ودويوان « أصدااء الناي » من هذا
النوع •

شعر يستوحى طبيعة مصر السمحة الرحبة ونيلها المنساب
فى عذوبة •

شعر رقيق اللفظ ، سهل القياد ، عميق المعنى لا يعتمد
الى التعقيد ولا يحمل القارئ شطط الفوص وراء معنى
خبيء فى طيات الغيب •

ان صاحب ديوان أصداء الناي ، شاعر يدرك تماما أن
الشعر جزء من كياننا الانساني وهو فن لا تستغنى عنه الحياة
وهو التراث الذي نعتز به .

ولولا وجود بعض الهدامين له لما فقد بعض الشعراء
ثقتهم بالقيم الفنية التي دأبت الانسانية على تركيزها في
الشعر .

ولقد اغتنم الشاعر أحمد هيكل زمن النضج الفكري
الحالي لديه ليجمع قصائد ماضيه وحاضره في هذا الديوان .
فتسنى له أن يكتب شعرا حالفه التوفيق .

ذلك أن الشعر ليس كما يظن البعض مجرد مشاعر .
فالمشاعر تأتي وحدها في سن مبكرة وانما الأشعار تجارب
قبل كل شيء .

وكما يقول رينيه - ماريا ريلك « لكي نكتب بيتا واحدا
من الشعر الجيد يجب أن نكون قد شاهدنا عدة مدن وأشخاص
وأشياء . يجب أن نعرف كيف تطير العصافير وكيف تتفتح
وتتحرك براعم الزهور صباحا ، يجب أن نؤتي القدرة على
استيعاب التفكير في دروب كائنة في مناطق مجهولة ، أن
نلتفت الى الوراثة نحو أيام الطفولة وأن نجتر لقاءات
وتجولات شديدة العمق والخطورة ... » .

وأنا أقول لا يكفي أن نكون مدركين طريقة التفكير في
كل هذه الأمور بل يجب أن نحلم بذكريات تعزز العاطفة
وتمضي بنا نحو عالم الكلمات المسموعة .

ولقد تخيرت من الديوان موضوعات متنوعة منها الوطنية
والتأملية والناقدة للحياة وكلها قصائد جيدة الجديدة منها
والقديمة ..

وأما قصائد الديوان فقد تنوعت موسيقاها وتساوقت
مع العواطف ، وتآلفت أفكارها فبدت صورها قريبة من
الحقيقة ، فلا هي صور خيالية رومانتيكية حاملة ولا هي
ضبابية تتحدى الذكاء والفطنة ، لنستمع اليه في قصيدته
« الى جميلة الجزائرية » :

آه يا أخت والفؤاد أنـين تحت وطء الهموم وهي ثقيلة
أنا لم أعرف الترميل واليتم وفقد الصغار زهر الطقوله
غير أنى أحسست هذا جميعا منذ نالوك بالأذى يا جميلة

ويموج غضبا فيصيح احتجاجا على سلطات الاحتلال :

أتموتين والبغايا بـياريس
يـمتعن بالحياة الطويلة
أطـيح الجـلاد رأس مـلاك
كى تعيش الجمـاجم المـخبولة
أيدوى الرصاص فى صدرك الحر
وتدمى فيه المعانى الجميلة
لكن الأمل مازال يراوده وقوة الله أكبر فيقول :

لا تراعى فالليل يعقبه الفجر
وبعد الهجير تحلو الخميلة
انظـرى فالصباح يشرق فى
الأفق وجيش الظلام يخفى فلوله
هكذا تسعد الجزائر بالنصر
وكل الرغائب المأمولة

★★★★★

صورة تزيد معانى التجربة جلاء وقوة وتعمل على
توصيلها الى القارئ فى يسر وسهولة *

أجل * ان ديوان « أصداء الناي » التزام صاحبه بوضع
الكلمة فى موضعها المناسب فعبرت عن تجارب الشاعر تعبيراً
صادقاً ، والصدق فى الشعر من أهم عوامل درجات التفوق *

فكم من شاعر جيد الصياغة غير قادر على التفكير فيما
يشعر به ، عديم الايمان بحقيقته * ذلك هو المقلد الذى يخرج
شعراً ميتاً لا يهز وجدان القارئ ولا يحرك شعوره *

فليس الأمر أمر أبيات فى قصيدة ولا هو أمر القصيدة
نفسها * انما هو أمر ارتعاشة الشاعر فى اللحظة الحاسمة ،
لحظة نورانية الخلق عندما يقف وجها لوجه أمام سمائه
الشعرية، مبدلاً حقائقه الراهنة بحقائق جوهرية، مجرداً كونه
من ماديته ليكون عالماً ليس له قابلية التجزؤ *

ومصر وطننا الحبيب هى الشغل الشاغل فى ديوان
الشاعر أحمد هيكل يناجيها اذا غاب عنها ويناجيها وهو فى
أحضانها ويزجيها أعذب الكلمات *

ففى قصيدة « جنتى وأحزان الخريف » يقول :

فطاوحت أشواقى وأسرعت عائداً

كعودة طير للفضاء وللرب

أقبل لهنان الجوانح أرضها

وأمزج فيها دمع عيني بالترب

وأحلم أن أنسى عليها مواجعى

فحسبى أن أحيا على أرضها * * حسبى

ويتساءل شاعرنا أى سحر فى بلده يشده اليها وهو يحيا
فى أجمل بلاد العالم :

طال يائيل عن النيل غيايى
فمتى تشرق يا فجر ايايى
ها هنا حولى جنات وحوور
غير أنى فى اغترابى فى هجير
انها مصر وقد شاء هواها
ان يرد النفس عن حب سواها
أى سحر فى مياه النيل يسرى
وشقة منه أفديها بعمرى

ويعترف الشاعر أن وطنه هو دنياه وفنه وفردوسه * * *
هذه دنياى بل محراب فنى
وهى فردوسى الذى فيه أغنى

وهكذا نجد الديوان مليئا بعدد من أمثال هذه القصائد
المشوبة فى حب الوطن *

وحنين الوطن داء معروف يصاب به كل مغترب غير أن
شاعرنا أوتى القدرة على تصوير معانيه ففن التصوير عنده
واقعى حى له نبض وله روح ودرجته الفنية الممتازة *

نأتى بعد ذلك الى شعره الدينى فنتأمله بكل خشوع ،
فالشعر الدينى عند الشعراء المجيدين هو أكبر دعامة لخلودهم
وصفوة ابداعهم فى هذا الجانب يجب أن تكون موضع الحفاوة
والانتفاع بها لخير الاسلام والبشرية *

ففى ذكرى مولد الرسول يقول الشاعر فى قصيدة (لمن
النور ؟) :

ما لهذا النخيل يرقص كالصوفي
لما انتشى وذاب صفساء
ما لتلك الجبال أضحت قلوبا
في ضلوع الصحراء تحيي الرجاء
ما لكل القفار صارت رياضا
ثم أضحي هجيرها أفياء
أتراه الربيع تنسج للكون
يداه غلائلا خضراء
لا • فان الربيع يمكث حيناً
ثم يمسي هواجراً أو شتاء
والربيع القدسي خلده الله
لتبقى الحياة أسمى بهاء
ليس هذا الربيع غير وليد
جعل الأرض جنة فيحاء

ويقول أيضا في ذكر يوم مولد الرسول العظيم :

فجران • فجر سنا ووجه وليد
قد لاح ضوءهما بأفق البيد
هي ليلة ركع الزمان أمامها
والدهر حياها بطول سجود
هي في الليالي الغر مثل مليكة
وبقية الليالات مثل عبيد

★★★★★

ويمر شاعرنا فى أعوامه الأولى بما يمر به الشباب ،
يعذبه الشعر ويرهقه الخيال ويصاحبه القلق والوهم ويملا
عوامله الرؤى وجوانبه الشعور المبهمة - فتجلجل التجربة قوية
محتدمة تبعثه على الانتقال الى الأحداث على جناح الصور
الشعرية -

ويفيض قلب الشاعر أخيرا بالشعر فى قصيدة (صرخة) :

يا رب أين طريقى

وأين أين رفيقى

طرحت روحى بسجن

من الظلام الصفيق

ولم تدع لى أنيسا

سوى أساى العميق

وثورة فى دمائى

تضج عبر عروقى

وأدمع ناضبات

يزدن نار حريقى

وخافق فى ضلوعى

لهفان مثل غريق

قبات يدعو ويدعو

يارب أين طريقى ؟

★★★★★

وتمر به الأعوام والأيام ويصير شاعرنا الشاب رجلاً
كامل الرجولة ولكنه لا يتغير • وكيف يتغير وهو مازال كما
هو ، الشاب المليء بمشاعر القلق والوحدة ، وبكل قوى
الايمان والثقة بالخالق • • يهتف في قصيدة « ضراعة » وهو
يشكو لله غربته وتشرد أيامه وظلام دروبه :

الى بابك المأمول أسرعت يا ربى
تطوف به روحى ويطرقة قلبى
جفانى من صافيتهم صافى الهوى
وأعرض أصحابى وأنكرنى صجى
وأفردت الا من مرارة غصة
وآلام سهم قد تكسر فى جنبى
وجئت لا أخشى عواقب ذلة
فعفوك يا رحمن أكبر من ذنبى
ولكننى أشكو اغترابا ووحدة
تشرذ أيامى وتظلم لى دربى
فهب لى سلام الروح وارحم مواجعى
فليس أمامى غير بابك يا ربى • • • !

★★★★★

والآن وبعد أن عشنا مع الشاعر الدكتور أحمد هيكى فى
ثوراته النفسية نأتى الى شعر الغزل فى ديوانه « أصداء الناي »
فنبحث بصعوبة عسانا نجد بعضاً منه •

ولكن الشعر العاطفى عند شاعرنا قليل ونادر ، لست
أدرى لماذا ؟

وهو الذى أجاد اجادة مذهلة فى قصيدته « أندلسية »

فأستعمل فيها الكلمة بكل ما تملك وتحمل من قوة تعبير
وصورها تصويرا رائعا حتى خرجت لنا فى ثياب من السحر
القاتن .

وهى تستأهل أن نختتم بها هذه الوقفة الشعرية حتى تظل
في سمع القارئ بكلماتها الرنانة كمصفور مفرد يلتقط حبات
غذائه :

هيفاء : كالخضن الرطيب تبسمت فيه الزهور
بيضاء : مثل الياسمين يضيء فى الروض النضير
وندية : كاطل يمسح جبهة الصبح المنير
وشذية : كالورد يسطع بالجمال وبالعبير
وشجية : مثل التناجى الحلو أو شدو الطيور
ورقيقة : مثل النسيم اذا تعطر فى البكور
ورشيقة : مثل الفراش يخال أزهارا تطير
وعميقة : كالنبع دفاقا من الصافى المنير
ووديعة : مثل الحمام مرفرفا حول الغدير
ورفيعة : كالشمس تخطو فوق هامات البذور
وبريئة : مثل السنا فى نظرة الطفل الغرير
ووضيئة : مثل الهوى يصحو بومضته الضمير
وحبيبة : كالعذب لاح لظامىء بين الصخور
وخصيبة : كالحب تورق من بشاشته الصدور
هى واحة القلب الذى صهرته نيران الهجير
هى معبد الروح السنى وكعبة الحب الطهور

★★★★★

وليت شعري ماسر هذه الأندلسية الفاتنة التي هزت
وجدان شاعرنا حتى فاضت مشاعره بكل هذا الشعر العبقري
الرائع ؟ ؟

والحق أقول نادرا ما يقرأ المرء قصيدة اكتملت فيها كل
معالم الجمال مثل قصيدة « أندلسية » •
أيها القارئ الكريم •

أظننى بينت لك من شعر الديوان ما يكفى لمعرفة سمات
صاحبه وهو غنى عن التعريف •

وان الشعر العربى فى اتجاهه الى كل ما هو واقعى
ومنطلق ليتجسد فى ديوان « أصداء الناي » لصاحبه الدكتور
أحمد هيكل من حيث هو ثروة فنية كاملة وثورة شعرية فى
اللغة والموسيقى والأداء والأسلوب •

للشاعر العوضى الوكيل فى ديوانه
قراشات ونوار

منذ أعوام قليلة فقدت مصر شاعرا كبيرا عاش وديعا
هادئا ورحل عنا كما عاش في هدوء وصمت *

وليت مصر التي أحبها بكل نبضة في عروقه تذكرت أن
تفيه حقه بعد وفاته وهي التي تستطيع حتى اليوم أن تفخر
به وتعتز *

وهو الشاعر الذي لولا زهده في الشهرة وبعده عن الملق
والجري لتألق كوكبا في سماء الشعر ، فهو شاعر متمكن من
فنه ، متفرد في أسلوبه *

وهو ان بدا لنا تقليدى النزعة فسرعان ما تعلن شخصيته
استقلالها فتتجلى الطلاقة لا في مناحيه وحدها بل في ديباجته *

انه شاعر نشأ على حب البساطة الفنية التي هي صفة
فطرية في كل فنان موهوب *

وقد انتظم شعره النزعات الوطنية الحرة كما انتظم
الكثير من أوصاف الطبيعة والاستغراق الذهني في مشاهد
والتبطل الصوفي في محرابها * ان شعر العوضى الوكيل ترجمة
صادقة لحياته لا أثر فيها للتكلف بل هو انفعالات نفسية لما

يواجهه من أحداث الزمن خيرها وشرها ولا بد أنه قرأ كثيرا
واتخذ من ينابيع الوحي الطريق الى المعرفة لذلك نجد له بعض
النزعات الفلسفية العميقة وان كانت قليلة *

ولقد نرى أحيانا فى خيالاته الشعرية وأسلوبه ووحدة
القصيدة ما يمثل عقلا نفذ الى أعماق الكون وسبر غوره *

وأجمل ما فى شعر العوضى الوكيل هو ذلك الحب الجارف
وتلك العاطفة الجياشة التى يكنها للطبيعة بكل ما تحوى
الطبيعة من طير وزرع وماء وضياء *

وهو حين يصفها تحسه وكأنه يعب عبا من منهل جمالها
الصارخ فكل نبضة عرق فيه تهتز شعرا وكل خلجة قلب تموج
حبالها ووفاء *

وانى أحيانا لأقف مبهورة أمام احدى القصائد التأملية
التى يصب فيها الشاعر أجمل أبياته ولنستمع اليه فى قصيدة
« آخر خمس دقائق » حيث ندرك مقدار هذا الحب وما هى
أمانيه المرجوه عندما يحين الأجل * يقول الشاعر :

إذا جاء « عزريل » لقلت له اتد
بربك امهلنى لخمس دقائق
سأشهد فيها الشمس فى جلوة الضحى
وأشهد فيها الروض نضر الشقائق
وأبعث للنجم الذى غاب قبلة
فمن خافق تسرى الى ثغر خافق
واستنشق الأنسام زادا لرحلتى
ويا حسن أزواد النسيم لناشق
وأشهد رسما خطه كف واجد

وأسمع لحنا صاغه قلب عاشق
فان تبقى من خمس الدقائق فسحة
لثمت نبات الأرض فى بعض ما بقى
وقلت « لعزريل » تقدم فلم تعد
بنا حاجة يوما لهذا الخلاق
ولست أرى فى الموت ما يفزع الفتى
سوى أنه يأتى فجأة ما حق

★★★★★

ومن الغريب أنه رغم ما أصاب الشاعر من مرض خطير
ظل ملازما له فترة ليست بالقصيرة قبل رحيله الا انه كان
يحب الحياة بكل ما فيها من خير وكانت دنياه الحبيبة هى
الأبناء والزوج والطبيعة المرحية وما أكثر ما عبر عن وفائهم
فى ديوانه هذا (فراشات ونوار) ولنستمع اليه فى قصيدة
« لن أشيخ » وفيها يتحدى الزمن والمرض ويتنكر لكل
ما يؤدى الى الشيخوخة - يقول الشاعر :

لم يدعنى الشباب ان شبابى
لم يزل ملء مهجتي واهابى
يستجيش الجمال قلبى فيخضل
شعورى بوحيه الوهاب
واذا ما سألته مدد الشعر
ووحى القصيد كان جوابى
ان عمرا قضيت بين روض
من أمانى عذبة ورغاب
لخليق ألا يضاف الى السن
اذا السن عولجت بحساب

ويصيح الشاعر فى دهشة واستنكار وتساؤل :

اكتهاال ٠٠ ؟ والروح ذات وميض
اكتهاال ٠٠ ؟ والقلب ليس بخاب

أجل كيف يشيخ شاعرنا الرقيق وهو ما زال يرى الدنيا
كفادة حسناء ويرى الربيع أخضر الجلباب ويستتبه الضحى
ويأسره الضياء * وفوق ذلك كله يمنحه الحبيب أقصى ما يرجو
حبيب من حبيبه * كيف يشيخ وهو القائل :

ما تمنيت من حياتى الا
راحت الأمنيات تطرق بابى
ولماذا يشيخ والصبح والنجم والفجر كلها أحبابه تشمله
بعطائها *

★★★★★

فلماذا أشيخ والصبح يحبونى
بفىء من ظله المستطاب
ولماذا أشيخ والفجر فى عيني
ضياء ينساب فى أعصابى
ولماذا أشيخ والنجم يرنو
لى فى رقة وفى اعجاب
والمصافير لاتزال كما كانت
بأغصانها فوق الروابى
أترانى اكتهلت منذ أذن الليل
الذى فى سوائى بذهاب
أترانى اكتهلت لما ألت
بضواحي الخمسين سعيا ركابى

لا وربى ما شاغ قلبى وان شاخت على طيلة السنين ثيابى

وهكذا برز فى الشعر المقفى كثير من الموهوبين أمثال
الموضى الوكيل فان هذا الشعر استطاع أن يعبر عن التجارب
فى ابداع واتقان . وبمثل هذه الطلاقة الشعرية التعبيرية
استطاع شاعرنا أن يكتب قصائد خرجت لنا لطيفة النغم طريفة
الحدث مفصلة تفصيلا دقيقا .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى بقية القصائد قابلتنا فى الديوان
قصيدة رائعة تصور تعلق الشاعر أيضا بالطبيعة ومن هذا
التعلق المشبوب ندرك مدى حبه للجمال وهو يرسم أمامنا
صورا قد انفعل بها ونحس أثر التفانى فى تأملها ونلمح مدى
عشقه للربيع ومشاهده وهو يصف سحره وروعته فى ادراك
يقظ ، شاعر عشق الحب النبيل والحسن المقدس حيث يصف
لنا قلبه فى هذه الأبيات الرقيقة حيث يقول فى قصيدة
« منجم » :

قلبى هذا منجم عامر	وما به من فضة أو ذهب
ليس به غير بقايا هوى	الى السماوات العلا ينتسب
وغير ايمان بأن الدنى	جميلة ذات شباب قشب
وغير شعر لم أحلق نظمه	فهو على حافاته مضطرب
أصون فى أطوائه من غدى	بعض الأمانى الحسان العجب

★★★★★

ومن هنا نعرف الشاعر وندرك حقيقة أسرارهِ فهو الى
السماوات العلا ينتسب وهو مؤمن عميق الايمان هداية
السماء نبراسه وأسرار الكون تفكيره وفلسفته .

ولقد تنوعت تجارب الشاعر وتنوعت معها أحداث الزمن
في قصائده « لون العيش » ، « نداء الباعة » ، « وحى
لقاء » ، « مهاجر يعود » وغيرها .

ولكن اذا استعرضنا الديوان ككل نجد أكثر القصائد في
الطبيعة كما سبق أن ذكرت حيث اكتمل فيها بالذات الأداء
الفنى وظهرت قدرة الشاعر على مواءمة الصياغة الشعرية
لموضوع القصيدة فان العبرة بموهبة الشاعر ودرايته
بالعناصر الفنية للعمل الأدبي . مثال ذلك قصيدة
« الفراشة » . « عمر الورد » . « الذخر المباح » .
« الطبيعة في الصحراء » وغيرها .

وها هو قلمي يتوقف حائرا أمام أحلى وأعذب قصيدة،
وقد استوقفتنى قصيدة « أقنعتنى عيناك » وهى من شعر
الغزل وكم من قصائد غزل فى ديوان « فراشات ونوار »
يقول الشاعر :

★★★★★

أقنعتنى عيناك ان جمال
الكون معنى مركز فى العيون
مبرئات ما يخرج الزمن القاسى
بلمح لدى الرضاء حنون
قائلات وما نطقن حديثا
صاخبات وهن ذات سكون
موحيات بكل معنى عصى
كنت لا أستطيعه وهو دونى
مرجمات الى الحياة شبابا
قد تولى وراح بين السنين

وهذه قصيدة أخرى من شعره الرامى الى اسعاد البشر ،
اذ يجب أن يكون للشعر عمل ايجابى ونزعة هادفة فى
المجتمع وأن يتابع الأحداث والأفكار ويؤثر فيها ويدفع بها
الى البناء والتجديد النفسى .

يقول الشاعر فى قصيدة « الذخر المباح » وهى قصيدة
ترنم بها الشاعر نفسه واعتز بها :

لست أدرى ماذا يرى البائسوننا
فى حياة تبدى الجمال فنونا
كلما عز مأمل لاح منها
مأمل آخر يقر العيوننا
لا تمر السنون الا بمن يملأ
بالحزن والشقاء السنيننا
ليس حزن فى ساحتها بقليل
فدع الناس فيه يقتسموننا
هو كاف لمن أتى وسيأتى
وهو كاف لألف جيل يليننا
هو سر من خالق الأرض فى
الأرض وذخر يباح للأملينا
وهو ذخر يزيد ان أخذ الناس
ويفنى ان أهمل الآخذوننا
وغبى صنفان فى الناس : من
يرجو منونا ومن يخاف منونا

★★★★★

ويمتاز ديوان « فراشات ونوار » للشاعر الكبير العوضى
الوكيل بمعانيه المبتكرة وخياله البعيد وعنايته بالجو الفني
للألفاظ كما انه يتسم بتركيز الأسلوب وبالوحدة الغنية
الموسيقية .

ويتميز أيضا بما يبثه الشاعر في نفس كل قارئ لشعره
من ومضة نور وشعاع أمل . وتلك رسالة الشعر في حب
الخير وتقديس الجمال ويقول الشاعر في قصيدة « كرم
الحياة » :

البلبل لم يبخل بآية حسنه
والشمس لم تبخل بسحر سناها
والزهر لم يبخل بفضله عبيره
وسل الخميلة صبحها ومساها
والطير حتى لو تكون حبيسة
تزجي الى حسن الحياة غناها
لم تبخل الدنيا عليك فكن بما
منحت لسانا يستزيد بهاها
واكرم كما كرمتم وكن في ساحها
أولى البنين بحسنها وحلاها

★★★★★

وقد حفل الديوان بشعر المناسبات فوجه الشاعر أبياتا
جميلة رقيقة الى أصدقائه ولكنه اختص العقاد بأحلى ما يملك
من شعر جيد قاله الشاعر في حياة العقاد وبعد وفاته وأرى
المجال لا يسمح الا بذكر القليل من الأبيات في قصيدة « على
قبر العقاد » :

على ربوة من روابي الجبل
 نزلت فأى خلود نزل
 تشير إلى الشمس عند الصباح
 وتغمزها فى الضحى بالقبيل
 وترسل اكيل ضوء عليك
 رقيق النسيم ، ندى ، خضل
 وكنت ولوعا بها معجبا
 وها أنت ذا ولع لم تزل
 وللنجم همس اليك طويل
 فما ينتنى هامسا لا يمل
 ولست غريبا بتلك الربى
 ولا عشت منها بعيد المحل
 لقد أخذت منك عهد الشباب
 وما عدت الألف فى المكتهل
 وللنيل من قربها لفته
 اليك كلفتة خل لخل
 تحولتما هو عن منزل
 قديم وأنت بفعل الأجل
 وقد حسبوك سكنت الرجاء
 فهزوا عليك رؤوس الأسل
 ولكنما السيف بين القراب
 هو السيف ان صال أو لم يصل
 ★★★★★

وعلى ذكر العقاد ففى الديوان كلمة من الراحل الكبير عباس العقاد الى الشاعر العوضى الوكيل كمقدمة لديوان العوضى « رسوم وشخصيات » وقد أصدره منذ ربع قرن تقريبا وقام فيه بعرض رأيه فى شعر شعراء وشواعر ذلك العصر .

وقد رأى العوضى الوكيل أن يعيد نشر المقدمة فى ديوانه « فراشات ونوار » تكريما لاستاذة العظيم وزهوا به حيث يقول العقاد من بعض ما يقول :

« وانى لأهنتك على قدرة فى الشعر الرصين لم يرزقها الكثيرون ثائرين منطلقين من القيود والموازين فان ضرورات النظم لم تنحرف بك قط ، وانها لآية من آيات النهضة المرجوة أن تعرض لنا فى كل صفحة من صفحات شعرك الناقد صورة تدل على صاحبها ولا تدل على أحد سواه .

انها مقدرة ليست بالجديدة فى الشعر منك وانما الجديد فيها موضوع لم تسبق اليه فى تاريخ الشعر العربى ولا فى تاريخ النقد الفنى على جملته فاذا أزجيت التهئة بهذا الديوان مبتدئا فانما أبداً بتهئة المعجبين بتوفيقك وارتقائك فى مراتب الابداع والاحسان » .

وبعد أكتفى بهذا القدر من التعريف بديوان « فراشات ونوار » للشاعر الكبير العوضى الوكيل وأعتقد أننى بينت أصالة شعره الذى سيكتب له البقاء والخلود على مر الأزمان .

للشاعر فتحى سعيد فى ديوانه
بعض هذا العقيق

« جواز سفرى : العالم

الغربة : مسكنى

العنوان : عاصمة الأحزان

رقم البنيان : ميدان النسيان

الاسم : مسافر

المهنة : شاعر

الريح : جواد

البحر : مداد

مجهول السن : من كثرة ما ترك الزمن من البصمات يبدو فى
سن الأهرامات *

يتألم لكن لا يتكلم : وجهته شيطان **

نحو المبهم *** نحو المبهم «

هذا هو شاعرنا الكبير فتحى سعيد يتكلم عن نفسه فى
صدق وصراحة ، وجزاه الله خيرا * لقد كفانى حيرة
وصفه *

وعندما أسعدنى الحظ وهممت أن أقرأ ديوان (بعض هذا
العقيق) لمست فى الديوان عنوانه العذب اللفظ ثم أوغلت
فى صفحاته فوجدتنى أهمس هذا شعر جيد وهذه أفكار فنان
موهوب * والحق أقول ان الشاعر فتحى سعيد أحد الذين
يتزعمون المدرسة المتحررة الابتداعية - وله قصائد فى غاية
الجودة والأصالة وديوانه هذا يحتوى على الكثير منها *

وانى اذا أبدأ بعرض الديوان أقتطف من كل حوض زهرة
دون أن أتقيد بموضوع القصيدة *

وقد عرف شاعرنا كيف يسمو بشعره حيث أضفى عليه
لمسات ذكاء وخيال فخرجت الأبيات مغلفة بتركيبات مبتكرة
يتطلع اليها القارئ برهة قبل أن يستوعبها ثم يكمل رحلة
القراءة فى اعجاب وتقدير *

وما دام القارئ قد تفهم مضمون القصيدة فقد وفق
صاحبها فى توصيل تجربته اليه وهذا أول طريق للنجاح فى
الشعر *

مثال ذلك فى قصيدة « الليلة ماذا ؟ » فيقول :

الليلة ماذا ؟ الليلة نقتات بطعم تذكارى
نقبض بالنظر الى ايقاع الأفكار
نوقعها بجبائل رؤيا عشوائية
الليلة ماذا ؟ الليلة قلبى هاجر
يقرع أجراسا كاتدرائية

ينقُصُ على مملكة الكلمات الميتة الجبلى
بعجائب دنيانا السفلى
نقعد نصل المتناهى فى قلب الأخطار السريه
ونشد بها قوس الأشعار المطوية

★★★★★

وهكذا فالشعر الجيد لا يقف عند حدود التعبير الواقعى
بل يتخطاه مستحضرا ما هو فوق الطبيعة .
وكثيرا ما ينبثق الشعر الجيد من ذلك المزيج العجيب
الذى يحدثه اقران الذكاء بالخيال .
ولكن ذلك لا يمنع من وجود الموسيقى العذبة فى شعر
صاحب الديوان ولا من الانفعالات المصاحبة للتجربة .
فلكى تؤدى الصورة مقاطع دورها لا بد أن تسير الانفعال
وجوه .

وفتحى سعيد متأثر بشعر شارل بودليير شاعر فرنسا
الموهوب فيهتف موجهها اليه قصيدته :

يا شاعرى الرجيم ، يا طفلى اليتيم .. يا صاحبنى العظيم
والجرح .. والسكين .. والجلاد .. أنت
والغريم .. أرجوحة الشذى وليلك السقيم
مباخر السموم .. بواخر الكروم

★★★★★

وهكذا يميل شاعرنا الى الشاعر الفرنسى رغم ما فى حياة
بودليير من أحداث جسام ولكن شاعرنا فنان ينظر الى الجوهر
ويعطف على أخيه الفنان البائس وينظر الى فنه بعين الاجلال
والانبهار .

وفى الحق ان بودليز كان عظيما فى شعره كتب عنه
(جاك مارتين) يقول :

« ان الدور الرئيسى الذى لعبه بودليز ورامبو هو كونهما
آدخلا على الشعر الطريقة المثلى المؤدية الى الروح ، انهما
أدارا ظهوريهما للشعر الحالم الرومانتيكى الذى يعجج بالأناقة
اللفظية ويخب فى ثوبه الفضفاض ، واندمجا على عكس ذلك
فى الابهام لأنهما شعرا أن عليهما أن يستقبلا الوجود بهذه
الوسيلة حتى يتسنى لهما حل ألغازها » .

وأقول أجل لقد أغنى بودليز ورامبو الشعر بتصوراتهما
الجديدة واحتلا أفاقا لم تكن قد اكتشفت بعد وأدخلا فى
الشعر نوعا من الحزن أمام لغز الحياة .

ويمضى الشاعر فتحى سعيد فى قصيدته « الأفعى » وهى
تعبير عن القصيدة ذاتها بالأفعى وأرى انها تدعو الى القراءة
أو الاستماع بما فيها من طرافة وحكمة فنية ويصف لنا الشاعر
كيف فتح الباب ذات مساء شديد البرودة :

اشتد عواء الريح فاصطك صرير الباب
انفرج فقلت انجاب
الله الغائب أب .. فأطلت رأس الأفعى
جاءت تسعى ... دارت بالغرفة طافت بالأركان
فحت ألسنة النيران
وثبت أعانقها ... أفسحت مكان
زحفت .. رقصت واعتصرت من دمها قارورة عطر
ولبست لها جلد الثعبان ..
قدمت لها أخرى .. ثملت ، خرجت تترنح سكرى
وتلوت فى الأحشاء ... قصيدة شعر .

★★★★★

ونأتى بعد ذلك الى شعره الوطنى وان كان قليلا فى
الديوان الا أنه على أية حال واجه جميع أحداث الوطن فى
تحد وعنف .

فى قصيدة « كل شىء » وأنا أسميها القصيدة السوداء
فان كل شىء على وجه الأرض يخيل إلينا عند قراءتها انه قد
مات حتى شبح الموت نفسه وذلك عقب أحزان يونيو فى عام
النكسة حيث يقول :

كل شىء جف مات ٠٠٠ الهوى والأغنيات
فرحة الأطفال ٠٠٠ أحلام البنات
نشوة الآباء ٠٠٠ زهو الأمهات
الفراشات وزهر الربوات
الق الحقل وأعواد النبات
الندى والهمس ووقع الخطوات
باحة الدار وصيف الأمسيات
كل من فيها موات فى موات

تصوير محزن مؤلم تشدنا اليه قسوة المعاناة الشعرية
والعدوابة المنطوية تحت عبء الكلمات الحزينة ووزن البحر
الجنائزى وموسيقاه الشجية وهذه الالفاظ : فرحة ٠٠ أحلام،
نشوة ، زهو ، النأى والهمس وأعواد النبات وكلها كلمات
تبكى مع القصيدة أما بقية القصيدة فهى لا تقل جمالا وروعة
عما سردت من أبيات .

واليوم وقد ساد الشعر الهادف وازداد انتاجه وبرز المشهد
السياسى والقومى والاجتماعى تحت الأضواء .

فقد واجه الشعراء مشكلات الأرض وما عليها بعد أن
كانوا محلقيين فى السماء .

وهكذا يعرض لنا فتحي سعيد مواضيعه اليومية بكل ما تعج من مظاهر وأحداث ، يعرضها فى لفة سهلة واضحة أحيانا وحينما يكتنفها غموض سائد ولكنه ملء بالطرق الالغائية للتعبير عن ذاتيته وترجمة أسراره •

وفى رأى مهما كان الشعر غامضا فبقليل من التأمل يصل الى نفس تفهم الشعر الواضح •

ذلك أن الغموض شبهه بعضهم بالهبوط اللولبى للفراش نحو الزهرة حيث يبدو عليه التردد فى كل نقطة من نقاط طيرانه فى حين أننا نرى فى النهاية عندما يلمس الفرash الزهرة أنه كان متجها نحوها منذ بدء طيرانه •

فهنالك اذن موازنة رائعة تقوم بين عقل وحس فتحي سعيد، تلك الموازنة التى تشهد على توحد العالم الخارجى والداخلى لديه تارة وبينه وبين الحقائق المنطوية فى أعماق نفسه تارة أخرى •

ويأس الشاعر من وفاء الأصدقاء ومن اخلاصهم وتعاونهم فيشكو كما يشتكى كل انسان من أخيه الانسان ولكنه شاعر فحزنه أشد وخيبة ظنه أقوى وليس له من وسيلة للشكوى غير الشعر يتلوه على مسمع من أحد الأصدقاء فيصم أذنيه ويتثأب :

★★★★★

شكوت مرة لصاحبى فضايق بى
وقلت دعه للمساء ربما اذا شرب
امتد لينا وطاب •• يحلو له الاصغاء
يشتهى السماء
وأقبل المساء • ودب فى عروقنا الخطر

وعندما شرعت فى تلاوة القصيدة
تثاءب الضجر • ومد كفه يعاين المذيع
ومد عينه يقلب السطور فى الجريدة

★★★★★

ويتلو الشاعر شكواه على القربة ولكنها :
مالت •• علا غطيظها •• سجت فوقها الغطاء
نامت •• وفى الصباح أقبل الاثنان ••
والصقا بى تهمة الكتمان •

★★★★★

وفى قصيدة « حادث يومى » تتجسد القصيدة بكل ما فيها
من معان فى حقيقة الحادث حيث يتقابل الغرباء فى مكان
ما يتجه القدر فيتبادلون الحكايات وأنباء الزوجات والأبناء
ويحلو السهر حتى اذا انفض السامر مضى كل فى سبيل وكان
شيئا لم يكن :

وتبادلنا القبلات ••• وتبادلنا الأحضان
وكتبنا فى الورقات • الهاتف والعنوان
ثرثرنا كالعادة حول قضايا الانسان
وبكىنا الأطلال ومسحنا بالأركان
وتذاكرنا ضجر الزوجات
وبعض شقاوات الأبناء
ونفثنا حلقات الدخان
فى نهم •• وقصصنا أجنحة الأشياء

★★★★★

وابتلعتنا الطرقات ، وانحدر كلانا تتعثر عيناه
خلف العدسات * فى أول منعطف صادفناه
مزقنا الورقات

قصيدة صريحة صراحة الشاعر لا نفاق فيها ولا ميوعة
عاطفية هى حادث يومى يتواجد فى كل مكان ولكن الأمر هنا
يتعلق بشاعر مرهف وعين لماحة ورغبة فى أعماقه تصيح
« لو كانت الحياة غير ذلك » *

وقبل أن أترك الديوان استعرض مع القارئ بعض
أبيات من قصيدة « كان ليلا » وهى عن شهيد كربلاء يقول
الشاعر فى حزن :

كان ليلا مترع الشجو يتيم الأنبياء
خضب الدم حناياه ففر الندماء
تحت جناح من سواده
فذراع فى الهواء
وذراع تنزع النجمة من صدر السماء
وذراع تدفع الريح وتجرى فوق ماء
كشراع
وذراع فى نجيع الشهداء
وذراع فى ذراع فى ذراع
تتدلى فى العراء
فتردى عن جواده
مستطار اللب مسلوب النداء
واستفاقت كربلاء
بعض اشلاء وأنهار دماء
ذات ليل موجه الشجو يتيم الأنبياء

وأظننى بعد هذا قد تناولت الكفاية من قصائد الشاعر
فتحى سعيد ووضعت أمام القارئ صورة واضحة جلية
لا يعوزها الشرح يستطيع من خلالها أن يدرك اتجاهات
الشاعر الفنية *

وبعد ان الشاعر الرقيق فتحى سعيد شخصية أدبية مستقلة
فى التفكير والتعبير ذو ثقافة واسعة استمدتها من قراءاته
واطلاعه وديوانه (بعض هذا العقيق) يمثل عقلا نفذ الى
أعماق الوجود والحياة *

دكتور كيلانى حسن سند فى ديوانه
فى انتظار المطر

هذا الشاعر فقدناه قبل الأوان وهو فى قمة نضجه الفكرى
(٥٤ عاما) وعزأؤنا اليوم ما قدمه قبل وفاته من مؤلفات
عديدة من شعر ونثر أثرى بها المكتبة العربية وأضاف إليها
نتاجا طيبا قيما بما حفل من دراسات أدبية وتجارب شعرية
وآخرها « حازم القرطاجى » وهو تلخيص لرسالة الدكتوراه
التي قدمها الشاعر وحصل بها على مرتبة الشرف الأولى عام
١٩٥٧ ميلادية .

أما الشعر فكان آخر دواوينه هو « فى انتظار المطر »
الذى نحن بصدد التكلم عنه وقد أصدر قبله « قصائد فى
القنال » و « العاصفة » و « قبل أن يسقط المطر » .

وأول ما يلفت نظر القارئ لديوان « فى انتظار المطر »
للشاعر كيلا نرى حسن سندهى تلك النغمة الحزينة التى تشمل
الديوان وهذا التمرد المتوغل فى أعماق سطوره .

ولست أدري ألك هى أحاسيس شاعر ؟ بل وشاعر
رقيق الحس مرهف الوجدان ؟ أم هو أثر تعرضه لضغوط
هائلة فى حياته الشخصية حيث خطبت له أمه عروسا تزوجها
والده عقب وفاة أمه .

وكان أبوه موسرا فبدأ ينصرف عنه الى حياته الجديدة
وكان كيلانى وحيداً المدلل فأصبح واحداً من ذكور أربعة •

وطالب الشاعر بحقه فى الميراث بعد وفاة والده وانحاز
له البعض والبعض الآخر الى زوجة أبيه فنشبت معارك مثيرة
قتل فيها العديد من الرجال وأمسى مطارداً ولكنه حصل على
حقه فى الميراث •

وقدر لشاعرنا الحزين أن يلتقى بشاعرة فى أحد المحافل
الأدبية وكان زواج ثم انفصال •

ولقد توفى الشاعر فجأة وهو وحيد فى مسكنه يتلو القرآن
الكريم واكتشف الوفاة أحد الأصدقاء •

فأسرعت زوجته السابقة وكانت قد انجبت منه ولداً وقام
أهلها بعمل ما يلزم لدفنه فى قريته ونفذوا وصاياه وعلى
رأسها اهداء مكتبته الكبيرة الى كلية التربية بالفيوم ومنها
تخرج •

والآن وقد ألم القارئ بالتجارب التى مر بها الشاعر
الراحل وعاناها • فى اعتقادى أن ذلك سيزيده فهما لأشعاره
وكشفها عن جوهرها •

وقبل أن تصفح ديوان « فى انتظار المطر » آخر ديوان
للشاعر كيلانى حسن سند •

لنتمعن جيداً فى معنى كلمة العنوان ذاته ففيه ما يدل
على مشاعر صاحبه واحساسه بحياة مجذبة كالصحراء
مقفرة •

وأرى أنه كان يستشف من حياته بعض الأمل فى المستقبل
حيث ينزل المطر فيعم الرخاء وتخضر الأرض وبالتالى تفىء
الروح وتنتعش النفس •

أجل • لقد كان الشاعر على ثقة بانهمار المطر فأصدر ديوانه الثالث وقبل الأخير « قبل أن يسقط المطر » •

ولكن • • • مر الزمن ولم يشعر بالسعادة المرجوة ولا أحس براحة النفس أى أن السماء لم تمطر •

وفى تحد للقدر جلس كيلانى حسن سند الشاعر البائس والحزين تحت القبة الزرقاء يتأمل السماء ويفنى ديوانه هذا الأخير « فى انتظار المطر » •

ترى • • هل أمطرت له السماء أخيرا وهل سقط المطر قبل أن يودع شاعرنا هذه الأرض • • ؟ لا أظن • •

وقصائد ديوان « فى انتظار المطر » ليست مرتبة التقسيم وان كانت متنوعة فهي شعر حر ذو قافية متباينة وتفاعيل غير محددة تطول أحيانا أو تقصر ويميل معظمها الى بحر واحد يسهل عملية النظم عند الشاعر •

وان كانت هناك عدة قصائد من الشعر التقليدى تمتاز بموسيقى هادئة وقيمة فنية كبيرة •

وكل شعر الديوان يلفه صدق خالص وعمق فنى وحركة مساييرة للانفعال مثال ذلك فى شعره العاطفى من قصيدة « عصفور الحب » وتتميز هذه القصيدة بالوحدة المتماسكة والايقاعات المتوائمة •

وفى اعتقادى ان الشاعر يعنى بالعصفور قلبه المتعطش دائما الى العاطفة وهو هنا يحذره من العودة الى الحب بما فيه من آمال وآلام حين يهل الربيع وتتفتح الأزهار ولكن الطائر الماكر يجيبه أخيرا فى تحد وسخرية :

فى ذات مساء شتوى أمسكت به قرب الدار

قد كان وديعا وأليفا لكن كذابا ثرثار

مد جناحيه •• استرحمنى •• ذكرنى
أقسم بالماء الجارى كالفضة فى الأنهار
أقسم بالورد الأحمر حين يرى خديك يغار
أقسم لن يرجع بعد اليوم فقلت له يا مكار
ستعود اذا خلع الورد القمصان وفك عن العطر الأزوار
ستعود مع الأطياف ، مع النسمة •••
حين توشوش آذان الأزهار
حين يعود الناس اثنين •• اثنين وكل حديثهما أشعار
لكنى ساقص الريش •• أعريك
وألقيك أمام الريح وتحت الأمطار
فتبسم منطلقا يتحدى
سأعود ولو تلقينى فى النار ! ••••

الحق انه شعر متوهج بالعبارة المضيئة والصورة الحية
ولنستمع الى أبيات من قصيدته الطريفة « دعوة » حيث يقول
لحبيبته فى غضب مكر :

سأدعو عليك •• يحج الفراش الى وجنتيك
سأدعو عليك •• يهب النسيم الشقى ، يبعثر شعرك
عن كتفيك •••
ويسدل ثوبك حيننا وحيننا يطير به من على ركبتيك
سأدعو عليك اذا العيد جاء ولم تأتنى
بأن تمرحى فى ربيع الشباب وقلبي يمرح بين يديك ••

★★★★★

وهذه قصيدة « مرثية حب » وهو يتذكر حبا كان ومضى.

لكنه ما زال يذكر جمال الحبيبة فيصفها وصف ناسك يتعبد
فى محراب الجمال :

لم يعد يبصر ما كان وكان
وجهها الأبيض كوبا من حليب لم تلامسه يدان
شعرها الأصفر أوتار كمان
صوتها الهامس بالحجب غناء الكروان
وبعينيها مظلات أمان
كرمة مشمرة فى كل آن
كان اذ يسمع « سوزان » من البعد « سزان »
ترقص الفرحة فى عينيه ويخضر المكان
يشرب الصوت يناغيه بشوق وحنان
ويراها زهرة تخضر فى كل أوان
فيغنى للدجى ، للفجر ، للشمس التى تنسج ثوب الأرجوان
ولعشاق الزمان

وهكذا نجد أن شعر دكتور كيلانى حسن سند يجمع بين
العنصر الجمالى والقيمى . الجمال فى ابداعه الفنى والقيمة
فى عمق مضمونه .

والشعر كما نعلم بناء وأدواته لفظ وصورة وقيمتة فيما
يتحلى به اللفظ من احياء وتأثير وما تتسم به الصورة من صلة
بالتجربة وهذا هو الموجود فى ديوان « فى انتظار المطر » .

واذا استعرضنا قصائد الديوان وجدنا أغلبها من الشعر
العاطفى وقليل من الشعر الوطنى وبعض شعر المناسبات .

وأما الشعر الوطنى فيميل الى الهدف وفيه سلاسة وقوة .
ودليل ذلك قصيدة « أوديب والمدينة الخرساء » فالشاعر لخص

فى صفحتين ما عايشه من آمال وآلام وما تجرعه من حياة
وموت فى ظل عهد من العهود الماضية • وفى رمزية سهلة
وحبيبة الى النفس يقول الشاعر :

حينما جئت الينا وسط الموج سفينه
حينما جئت ازدهارا لف أعطاف المدينة
واكتسى الجذر اخضرارا ورمى عنه العفونه
انطلقنا نحضن الشمس التى كانت سجينه
وانتصبنا كل ما كان انحناء صار فينا كبرياء
غير أن الريح قد تجبط للسفن الرجاء
كل ما كان دواء صار داء
صار أوديب بلاء
ووضعنا ألف مرآة له تعكس ظله
صار نرسييس مدله

ويمضى الشاعر فى وصف نهاية تلك الحقبة وأثرها
ومشاهدها فى قوة وإدراك شاعر أصيل مما يرتفع بمنزلته
الى مجال الفن الخالص •

وفى قصيدة « العبور » نجد أسلوبا غنائيا مع عذوبة
لفظ وقوة خيال حيث يقول :

حين لمسنا وجه الماء توضحانا وسجدنا
قلنا باسم الله وباسم عرابى وصلاح الدين
باسم الشهداء بطور سنين
باسم العمال وباسم الفلاحين
فانغلق البحر وسرنا بين جبال الموج
كانت آلاف الأشياء تحيينا

وعصا موسى تهدينا
موسى ألقى بعصاه إلينا
فأخذناها وضربنا البحر
فانشق إلى آلاف الطرقات
كان ضجيج الآلات • وهى تشق البحر
وتصعد بين تلال الرمل
تلقى بقشور اليأس العالق بين الوجدان
تغسل أدران الحزن الملتصقة بجبين الانسان
وتعبئى أحواض النار
لنغسل فيها قمصان الأمس المتسخة من عرق العار •

★★★★★

ولا ينسى الشاعر أن يرثى أصدقاءه ومنهم محمد الجيار
وعبد اللطيف النشار ويقول فى قصيدة «مرثية لشاعر جوال»
عن الشاعر النشار :

كنت ترتل أعذب صلوات الحب
حين انحنت الرأس وسال لعاب الشدقين
انتهت اللعبة •• لعبة أن تحيا •• وتكايد
فالى أين •• ؟
كان متاعك ما تحمله فى يمينك
عصاك •• وبضعة أقلام ودواة من حبر
وقصاصات الأوراق
قرب المقهى سقط متاعك وسقطت
طارت بعض قصاصات الأوراق

غاب العالم .. من غنيت له الأشواق
من يدرى ؟ قد تلقى الريح ببعض أغانيك أمام حبيبين
يا نهر الشعر المتجدد
لن ينساک الشعر وقد
أحرقت له السبعين شموعا في المعبد

★★★★★

ان أجمل ما فى شعر صاحب ديوان « فى انتظار المطر »
هو هذا الانفعال النفسى الذى تثيره فيه الأشياء والأحداث
والمعانى والأشخاص عند اعادة التجربة. فتخرج القصيدة عامرة
بالعواطف الجياشة وكأنه انتزعها من هوة الموت ودفع بها الى
القارئ دافئة تنبض بالحياة *

وبعد ما زلت أقول اننا فقدنا شاعرا فى قمة نضجه
الفكرى وخسرنا بفقده نبعا من الاحساس العميق والتأمل
الواسع والموهبة الحققة والطلاقة الفنية الأصيلة *
رحم الله الشاعر الكبير كيلانى حسن سند *

دكتور يوسف عز الدين في ديوانه
في ضمير الزمن

يقول عنه الشاعر الراحل صالح جودت فى مقدمة ديوان
الدكتور يوسف عز الديب « فى ضمير الزمن » •

« ان صاحب هذا الديوان أستاذ من أبرز أساتذة هذا
الجيل فى العراق الحبيب وهو صاحب دراسات عميقة خلاقة
شفله عمله الجامعى والعلمى عن الشعر كثيرا ولكنه بقى فى
أعماقه شاعرا كبيرا حتى فى نشره وفى علاقاته الانسانية
وفى حياته كلها •

وهو لم يبرز من طاقته الشعرية الضخمة الا قليلها
ولا يزال يختزن كثيرا لأونة يطمئن فيها الى الزمن ويجد
خلالها فسحة من الوقت تتيح له أن يخرج هذا المخزون الدسم
فى أعمال شعرية أجل مما أنجز •

وأما مقدرته على أن يكون شاعرا مسرحيا فأستشفها
فى هذه العناصر التالية :

١ - براعته فى قص القصص فى الشعر •

٢ - مقدرته المروضية •

٣ - سعة أفقه •

ويتساءل صالح جودت ترى الى أية مدرسة ينتمى صاحب
هذا الديوان ؟ ثم يعود فيجيب : انه ينتمى الى جماعة
شعراء أبوللو الرومانسيين فى بعض قصائده مثل على محمود
طه وابراهيم ناجى وحسن كامل الصيرفى وقد تأثر أيضا
بنغزليات الشعراء الظرفاء كأبى نواس والعباس بن الأحنف
والبهاء زهير .

ولكنك لا تستطيع أن تقول انه قد سطا على معنى لواحد
منهم ويستشهد صالح جودت بقصيدة « ليست الذكرى
سرابا » فى تشببه بجماعة أبوللو وهى قصيدة طويلة نقتطف
منها هذه الأبيات :

يا حبيبي أو تدرى من أنا
ان أشجان هوأنا تستعر
اننى زفرة مرتاع الحشا
قد رمانى للحياة القدر
يا حبيبي فامنح الصب رضا
فبذكر الحب يخلو السمر
فيك قد غنيت أنغام الهوى
فبكى اللحن وناح الوتر

★★★★★

وأما قصيدة « حيرة » فهى تميل فى تشبها الى كفة
الظرفاء حيث يقول :

يـيـوح	أم يـكـتم	صـب بـكم مـفـرم
ان باح فى وجده	فكـلـكم لـوم	
فى قلبه لـاعـج	وبـالـهـوى مـفـعم	

أخفى جراحاله هينها مؤلـم
 لأذقتم لوعتي من صابها مطعم
 أسهرتم مدنفنا لكنكم نمتـم
 ما بال قلبى الذى لا يرعوى عنكم
 قد لج فى وجده وسقمه منكم

★★★★★

وأجمل ما فى شعر صاحب ديوان « فى ضمير الزمن »
 هى هذه الطلاقة الفنية الموجودة فيه بالفطرة .

ولقد ظل الشاعر الكبير أبو شادى يدعو ولم يسأم طوال
 حياته الى الأصالة الفنية والوحدة التعبيرية واطلاق النفس
 على سجيتها والتناول الفنى السليم للموضوع والمعانى .
 ويقول أبو شادى : ان كل شعر يطابق هذه الخصائص فهو
 مقبول جميل كيفما كان قائله أو العصر الذى يعيش فيه .

وفى الحق عندما نحب أن نعرف خصائص شعر الشاعر
 يوسف عز الدين يكفى أن نقرأ قصيدة من قصائده لنتبين
 فيها سمات الشاعرية فى فنه ومميزاتها .

فاذا نظرنا الى الديوان ككل لم نجد فيه غير القصائد
 العاطفية الغزلية وللشاعر عذره فهو ديوانه الأول طبع فى
 عهد الشباب الفائر وأعيد طبعة للمرة الثالثة بعد عشرين
 عاما من العمر واذا علمنا أنه أصدر بعده ثلاثة دواوين هى :
 (الحان) ولهات الحياة . . . ورحلة الحياة وجدنا ان انتاجه
 قليل ولكن فيه روح وفهم .

وفى الديوان قصائد تمثل خلجات قلب الشاعر وأعمق
 مشاعره وتتمثل فى غزله وحبه وفى أحاديثه عن نفسه
 وشكواه .

وهنا نجد عاطفة قوية وخيالا جميلا وأسلوبا غنائيا
يمتاز بالاشراق والعذوبة والموهبة الفنية .

ولنستمع اليه فى قصيدة (فاتنة العيون) :

ان فى عينيك يا قاتلتى

خمرة تلهب فى الاحساس وجدا

كلما أمعنت فى سحريهما

خفق القلب حنونا وتردى

لا تلوميه فقد جرعتة

غصص الآلام كأسا اثر كاس

ارسلها فتنة عاصفة

احرقى روحى وأحلامي وحسى

وهكذا الشاعر أمام صولة الحب وثورة العاطفة وسورة
الشباب ، ولوعة الحزن فى شعر يعيش على الصدق ويحيا
على الوفاء .

الى أن يقول وهو يصف تملك الهوى لعواطف الانسان :

أنا أهواك كما يهوى الاله

راهب يرفع لله الصلاة

باع للخالق فى خلوته

كل ما يملك فى هذى الحياه

وهكذا فالعاطفة القوية لها أثر قوى فى الشعر العاطفى .

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى : ان العاطفة
هى التى تفتح منافذ الحياة والكون والروح أمام الانسان ،

ولا بد فيها من الصدق والحيوية ومن ثم نجد الفرق كبيرا بين محب تغزل وبين رجل يتكلف الغزل تكلفا دون أن يشعر بالصد والوصال واللقاء والفراق والشوق والوجد والرضا والنفور والدلال والجمال » .

ويقول صالح جودت في مقدمة ديوان « في ضمير الزمن » للشاعر يوسف عز الدين : « ان قصائده تشبه في رقتها وحيرتها شعر جماعة أبوللو ففى قصيدة « الوفاء » نرى صورة شعرية تنطق بها تجربة عميقة قوية التعبير .. يقول الشاعر :

وهلل الشاعر فى غبطة
يرتقب الشمس ارتقاب الحبيب
وانساب ماء النيل فى روعة
كانه الشيخ الوقور الغريب
وافتر ثغر الشمس عن بسمه
حيث بها الأزهار فوق الكثيب
فاستيقظ العالم من رقدة
محملا أرزاء دنيا الخطوب

وهى صورة متحركة للنيل ساعة الفجر تدنيك من صور الشاعر الرسام على محمود طه .

ويقول الشاعر يوسف عز الدين فى قصيدة « اقرئى الفنجان » وهى قصيدة ذات نغم موسيقى عذب ويزيد فى حلاوة موسيقاها بحرهما العاطفى وهى القوافى المتعددة المتغيرة وهى سبيل من سبل الجديد الصحيح وان كان الشاعر يعتز بتراثه الأدبى ويقف منه موقف المحافظ . يقول منها :

اقرئى الفنجان « يامى » اقرئيه
 فعسى أن تجدى حظى فيه
 قلت لى : مستقبل كالزهر ناضر
 وسيبنى مجدك الفذ مفاخر
 وأرى ذكرك فى الفنجان عاطر
 فى فم الدنيا أغاريد سواحر
 فاذكرى لهفة وجدى واشرحيه
 واقرئى الفنجان يا « مى » اقرئيه

★★★★★

لم عيناك هما أصل شقائى
 وهما - ولتسلما - يلسم دائى
 وعلام اغتالتا منى هنائى
 فمتى يرحمه طيف الرجاء
 ايه يا « مى » احميه وانصفيه
 واقرئى الفنجان يا مى اقرئيه

وشاعرنا رقيق الاحساس مرهف الوجدان ، قلق على
 شباب هذا الجيل ، يشد أزره بأجمل ما عنده من كلمات
 مقنعة حيث يقول فى مقدمة ديوانه :

« أرجو أن يحس الجيل المعاصر بأن حزنه وقلقه وحيرته
 شملت جيلنا أيضا لأننا لم نحقق آمالنا بالأمس فى حاضر
 أمتنا العربية بل زادت المصائب وكثرت الأشجان وهزتنا
 نكسات العرب وهزائمهم فى هذا الجيل »

ان الحزن الذى عانينا منه فى الماضى ويعانى منه الجيل
 الحاضر هو طابع الوثبة ومظهر الطموح لتحقيق مستقبل

أفضل لأمتنا فانشعور العميق بالحاضر الحزين ورهافة حس
العربي دليل على أننا لن نرضى بحالتنا وبرهان على أن
العرب لا بد أن يصلوا الى ما يريدون . . والخوف كل الخوف
من تبدل الفكر وعدم الشعور وانتشار اللامبالاة بين
الأجيال » .

وهكذا كل شاعر أصيل ، ثور انسانيته اليقظة على
كل ما يؤخر رقي أمته أو يحول بينها وبين التقدم ، وتسوده
نزعة التحرير والدعوة الى الحرية في أوسع نطاق وتسود
فيه نزعات القومية والوطنية .

ذلك لأن الحياة تغرس في نفوس الشعراء هذه المشاعر
الوطنية في عالمه . هذا العالم المليء بالآمال والآلام
والاستبداد والديموقراطية .

ولا يجب أن ننسى اخلاص شاعرنا الكبير يوسف عز
الدين لشعره في كل سطر من سطور مجموعته الشعرية
واستقلاله بأسلوبه فقد عرض لنا الديوان شخصيته المتكاملة
ووجهة نظره الخاصة فضلا عن وقوع هذه التجارب في سن
مبكرة .

ولا يجب أيضا أن ننسى تلك النغمة الحزينة في الديوان
وذلك الشجن الأكبر الذي يوغل في أعماق القارئ منذ
البداية حتى نهاية الديوان حيث يقول في قصيدته « أنا .
ان نعمت » :

ذوبت كل عواطفى أنغاما
وتفجرت فتدفقت آلاما
هذا شبابي الغض في ريعانه
عصفت به الدنيا فكان حطاما

الناس قد شربوا المدام سعادة
وأنا لهما قد شربت مداما
أنا ان نعمت بطيب يوم واحد
جر الأسى والحزن لي أعواما

★★★★★

وبعد - لا شك أن ديوان « في ضميم الزمن » لصاحبه
الشاعر الدكتور يوسف عز الدين هو وليد شعور وتأثر أي
هو وليد هزات نفسية عميقة ، وهو محاولة صادقة لما كان
يدور في قلبه فترة شبابه - لم يقلد صاحبه أحدا ولم يتكلف
في نظمه أو يتحمم ما ليس بالضرورة -
وانا لنسعد بقراءته الى أن يتيح لنا صاحبه قراءة ديوان
غيره -

★★★★★

الدكتور مختار الوكيل في ديوانه
مكتب الذكريات

هو أحد شعراء جماعة أبوللو التي أسسها المرحوم
الدكتور أبو شادى ورأسها أمير الشعراء •

عاش فى الخارج فترة طويلة ورأس وفد مصر الدائم
لجامعة الدول العربية فى سويسرا •

شاعر فياض العاطفة أخذ مكانة واستوى فى مكانته •
ليس بين شعراء مصر من يجهل له هذا المكان أو ينكر عليك
تلك المكانة •

فهو اذن من الشعراء البارزين فى الوسط الأدبى
القاهرى • أنيق فى حديثه ، أنيق فى ملبسه ، أنيق فى
شعره •

وهو « جنتلمان » كما يقولون من الطراز الأول • نجده
يشارك الناس آلامهم وأفراحهم مشاركة موجهة قوامها
الاخلاص والايمان بكل ما هو خير وحق •

شعره ترجمان نفسه وعواطفه ، أمين فى تصوير حسه ،
مصقون اللفظ ، حلو الموسيقى له النغم الذى يطرب ويشجى •
وديوانه هذا « موكب الذكريات » يجمع فى شعره نار الوطنىة
المشوبة وأزهار التصوف العطرة وبعض الخواطر التى مرت

على موكب الذكريات منها ما تخصه ومنها ما يخص الأصدقاء
الأحياء منهم والأموات *

وأما وطنياته فهي جياشة التعبير ، دقيقة الوصف
يحرص الشاعر على أن يضع البيت منها في موضعه السليم
ويهتم بالقصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق معانيها
ومطابقتها للواقع *

ففي شعره الوطني يقول الشاعر في قصيدة « عيد
النصر » وقد انتصرت مصر وما زال العرب يستنكرون
ويصيحون :

★★★★★

ثلث قرن مضى .. أجل ثلث قرن
والملايين تحتسى الموت رياء
في حرب مجنونة تتهادى
تحصد الأنفس البراء جثيا
وترد الغلام في الهول شيخا
والعجوز الضعيف أمسى صبيا
ما لهذا الطنين في الليل يعلو
يزحم الجو دانيا وقصيا
يا أخى يا أخ العرب مهلا
لا تكن منكرا ولا رافضيا
ان خلفا أمعنت فيه حقيق
أن يزيد الطاغين زيفا وغيا
ويستعرض الشاعر مأساة مصر وما عانتها من آلام ويهتف
حبا :

أنا لو كنت غير ابن مصر لتمنيت نشأتى مصريا

وشاعر يملك دقة الادراك وعمق الشعور وصدق
الاحساس فيقول فى قصيدة « نصر رمضان » وقد مزج الدين
بالحرب :

الله أكبر هذا موقف عجب

الله أكبر قالوها وقد وثبوا

الله أكبر قد قيلت بكل فم

فحصص الحق والأعداء قد هربوا

هز العدو دعاء صك مسمعه

نادى به الله والقرآن والكتب

الله أكبر قالوها وقد عبروا

الله أكبر قالوها وقد ضربوا

ورغم أن شعر مختار الوكيل عمودى مقفى الا أن أغلبه
صورة من صور التجديد فى الشعر العربى وهو ما يسمى
بالشعر الحديث المتغير القافية • ويقول خليل مطران فى
التجديد الشعرى « أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه
البعيد الغور الذى هو منبع الابتكار • وما أعظم الشاعر
الذى يستطيع تصوير كل صغيرة من معانى النفس وأن
يبلور عواطفه وأحلامه فى وحدة منسجمة ، انه يغدو شاعر
الانسانية •

ومن هنا نجد هذه القصيدة الوطنية المتجددة « الى
وطنى » :

وطنى أحبك أنت يا وطنى

وبغير حبك قط لم اذن

وأراك بساما على الزمن
تسمو على الآلام والمحن
ولأنت غريد على فتن
والوطن عنده هو الجنة الخضراء والأنجم الزهراء والنيل
الضاحك فيكمل :

مرننا تجدننا حيث ترضانا
للمجد أو للموت أقرانا
وإذا أهبت بنا ستلقانا
يوم النداء نهب شجعانا
نحميك في الأحداث يا وطني

★★★★★

وشاعرنا ذو ذكاء لمّاح وطاقه شعريه عاليه وهو شاعر
تفريخ كلماته قبل نظمها ويركز تعابيره كيلا تفلت منه
البنية المتناسكة ولكي يضمن محتوى سليم الأداء له ما يبرره .
ومختار الوكيل لا يؤمن بالوحدة الفكرية ولا الترابطات
العفوية فالوحدة عنده عضوية نامية تتطور حسب انفعال
الشاعر .

وهو لا يحب التكرار الا اذا كان مقويا للترابط الاصلى
ويميل كل الميل الى التركيز فى الجملة .
ولقد تمكن من تفجير ينابيع طاقاته الشعرية فكشف
عن سمات شعره كشفا قويا وخير ما يمثله قصيدته .
حيث يوجه قصيدته للزورق الخارق عباب البحر
يستعرض عناصر شعره وكيف استمدّها من الطبيعة .

أيها الزورق الذى ألهم الشعر
 فؤادى وصان لى أنغامى
 اجمع اللحن من هزيم الأعاصير
 وعصف الرياح فى أحلامى
 وغناء العصفور فى مطلع الفجر
 ونعق الغربان فى الآكام
 واصطفاق الأمواج عند التلاقى
 ونعيب البومات فوق الركام
 وثفاء الحملان بين المراعى
 وزئير الأسود فى الأجرام
 كل هذا لحن يداعب روحى
 ورحيق يزيل عنى سقامى

★★★★★

وأما صوفيائه فهى رقيقة وديعة ففى قصيدة « كعبة
 الله » يقول الشاعر وقد أدى العمرة لأول مرة وقف طويلا
 أمام الكعبة المشرفة يتأمل ما حوله ويرى ما يأسر النفس
 ويجذب العين والناس عكف على الصلاة وقد خلعوا ملابس
 الحياة وأسلم كل منهم القياد وشغل عن الأهل والأحباب :

مكة وردة الوجود	قديمما ولم تزل
شاعر الحب قم وقل	ههنا موطن الفزل
صانها الله للورى	وبها الوحي قد نزل
ايه يا كعبة الهدى	قصر القول والعمل
كل ما فيك ملهم	زاهر يقتل الملل
العمامات حوم	والعيزات والجمال

والجبال التى أرى تلهم الشعر والطلل
فأصغى لشاعر عن منى الناس قد ذهل
واسمعى شعره الذى خلد الحب والأمل

★★★★★

والدكتور مختار الوكيل شاعر رقيق كنسمة ربيع ذو فطنة
ذهنية لا ينظر الى الشئ دون أن تلمسه روحه ويضمه
وجدانه .

ومما لا شك فيه أن فطنة الشاعر لا يجب أن تنتهى عند
حد أو غاية فهى التى تثرى الشاعر وتجعله يبتكر من المعانى
الجديد والطريف وكلما ابتكر زادت قيمة الشعر واستقلت
شخصية الشاعر .

وينظر شاعرنا الى الطبيعة فيسكده ويسببه جمالها
الفتان ويريد التعبير فيعجز البيان فيقول فى قصيدة « نشوة
الألحان » .

أنا فى نشوة من الأنفام
قدعسوى معانقا أحلامى
أنا فى صمتى الفصيح سعيد
سابع فى عوالم من هيامى
مستعيد فى خاطرى ما تقضى
من متاع وشقوة فى غرامى
أى وحى منغم يتهادى
ويناجى الفؤاد دون كلام
لست أسطيع صوغه فى قصيد
أدمى الألفاظ والأنفام

لحنه ثائر يداعب روحى
وصداه معانق الهامى

★★★★★

ولنستمع اليه فى قصيدة « أيكة الشعراء » وقد اتخذ
مجلسه ذات يوم من أيام الشباب مع الشاعر الراحل محمود
حسن اسماعيل فى حديقة الجزيرة تحت جذع شجرة اجتثت
فكانت كقاعدة تمثال كونه الشاعران ، وكان الوكيل يحمل
أحزان العالم ولكنه كمادته بشوش المحيا ضاحك الثغر .
وأشد ما يؤلم النفس أن تخفى حزنها وتظهر بالمرح .

يقول الشاعر :

جمعتنا فأحسنت بالخيال
صورة قد وعت فنون الجمال
قد جلسنا هنا فأنت عبوس
وأنا واضح البشاشة خالى
لست أدري من صور الحق فينا
أنا أم أنت يا حميد الخصال
بل أنا الكاذب البشاشة والبشر
المعنى من الهموم الثقال
ويبحث شاعرنا صديقه على ترك الحزن واليأس
واحتضان الحياة بروح مرحة فيقول :
أنت يا من نهضت بالفن وبالشعر
والحق والهوى لا نفالى
نحن فى جنة الجزيرة فانهض
وانض ان شئت ثوب الملال

ويلتقط الوكيل أنفاسه فقد استراح اذ نصح صديقه
ثم ينتقل من التجريد الى التحديد فيصف معالم الجمال فى
الكون موحيا بالأمل :

قد جلسنا أمامنا النيل يسرى
فى ابتهاج وخلفنا الدوح عال
ودنت من مغيبها الشمس فى الغرب
فسارت مختلفة فى دلال
هبطت فوق قمة الهرم الأكبر
ترتاح من ضنى وكلال
ومشت بين ضجة وعويل
وتوارت فى روعة وجلال
لم تصخ للنواح رده الطير
وراحت غريقة فى الظلال
طمست والسحاب فيه كثير
من سناها وفيه جل الجمال
ورجعنا وفى الفؤاد لهيب
زاد من ناره دنو الهلال

★★★★★

وبعد ان شاعرية الوكيل القوية المتحررة تتسم بالمثالية
الرومانسية النزعة وما شعره الا نبع احساسه العميق وتأمله
البعيد ونظرته الى ما وراء المظاهر .

ولا مجال للاستشهاد بقصائد أخرى فكل شعره على
درجة كبيرة من النضج الفنى فى ديوانه « موكب الذكريات »
أثبت فيه صاحبه على استيعاب التجارب واجترار الذكريات
واقعية وجدانية ونفسية انسانية .

طاهر زمخشری شی ثلاثة دواوین

بين يدي الآن ثلاثة دواوين للشاعر العراقي الكبير
« طاهر زمخشري » وهى :

« الشراع الرفاف » و « صبا نجد » و « أغاريد الصعراء »
تحقق لى جمعها من بعض الشعراء عندما أبدت رغبتى فى
مزيد من القراءة لهذا الشاعر المجيد .

ولكنى ما كدت أنتهى من قراءتها حتى صمت حائرة ..
هل أقف مكتوفة اليدين أمام هذا الخضم الزاخر الكبير ؟
وهل أغمض العين أمام هذا الجمال الشاعرى الساهر .. ؟
فأغلق صفحات هذه الدواوين وأضعها فى مكتبتى وكأن
شيئا لم يكن .. ؟

كلا .. بل أن لى أن أكتب عن صاحبها ..

عن ذلك العابد فى محراب الهوى والجمال ..

عن ذلك العاشق الأبدى للخير والصدق والوفاء ، عن
ذلك القلب البسيط المتواضع ، البعيد كل البعد عن التكلف
والزهو ، رغم ما يتحلى به من شاعرية غنية تملك الكثير من
البذخ والترف والشراف ..

وأمسكت بالقلم ..

قلت لأحاول أن أعرض على القارئ قدر ما أستطيع
ذخائر أدبه الرفيع ، ودرر شعره الفالى وان كان الوطن
العربى قد لمسه من قبل وتغنى به فى لهفة وروعة واعجاب .
وأقوى ظاهرة فى شعر طاهر زمخشري هى تلك العاطفة
الصادقة المشبوبة التى تغمره حين يتجه بروحه وقلبه الى الله
عز وجل حيث يقول :

أنا فى دنياى ظل لحياة لا تدوم
وهوى نفسى لو أقفوه شيطان رجيم
وحياتى بالشجا الكاوى حرور وجيم
فاذا عاثت بجنبي هموم وكلوم
رحمة الله

ما أجمل احساس المرء بالراحة والأمان فى ظل سيره على
هدى الخالق ومحبه ورضائه ..

سبحى لله يا نفس وصلى واشكريه
واذا عاثت بك البلوى وهاجت فاذكريه
انه الشيطان يغويك لتشقى فاحذريه
فاذا غالك اثم جامع فاستغفريه ...
سبحى الله ...

ان الشاعر يخشى الفواية من فرط الألم ..
فالآلم يبعث فينا اليأس ، واليأس كفر برحمة الله ..
ولا شيء يبعد ويهزم الشيطان غير ذكر الله سبحانه .
وهكذا نجد معظم قصائده الدينية تسير على هذا المنوال
الواعظ والهادف له وللانسانية جمعاء .

ثم نأتى بعد ذلك الى قصائده الوطنية . . . وانها لتبعث
على الفخر فى قلوب مواطنيه فكم غنى الشاعر بحبه لوطنه
وتمنى لأبناء هذه الأرض المقدسة كل الخير والبركات . . .

ولنستمع إليه وهو يقول :

يا شبابا توثبت حوله الآمال
رفافة كخفق البندود
ارسلوا الصوت صاخبا كالصواريخ
وراء المدى وفوق الحدود
حاملا فى رجيعه يقظة الفكر
وزار القوى وزند الوقود
اشعلوها على الجبهة حربا
يتلهى أتونها بالجمود
ان روح الشاعر الوثابة الى المجد لتهب بالشباب أن يتملى
السنا ويرتقب الصباح الوضى . .
فالقوى ، القوى من يطلب
المجد ويسمو الى مداه البعيد
والقوى العنيد من يرهب الخطب
بزأر يفوق زار الأسود
والشاعر فى كل مرة يذكر فيها وطنه يعتريه زهو أكيد ،
فليس من السهل على فتى من أرض الحجاز أن يتظاهر
باللامبالاة حين يذكر أقدس أرض وأشرف وطن . .
بلادى فداؤك روحى وعينى
نور بشع من المسجدين

بلادى .. بلادى .. بلاد الهدى
 تجاوزت بالعدل أقصى المدى
 فكنت نشيدا طروب الصدى
 ومازال يهتف فى الخافقين
 ويذكر شاعرنا الكبير أيام الحج وأنفاسها العطرات :
 فى صعيد به المواكب طافت
 لمها الطهر فى شقوق وضاء
 فى صعيد به المآزر بيض
 حاكها الحب من نسيج الصفاء
 فى صعيد به الجموع تلاقت
 فى نداء مجلجل الأصدا
 وتمود به الذكرى الى أيام صباه ومفانيها الجميلة فينظم
 أروع قصائده ، ويعروه الحنين وتموج به اللففة فى
 قصيدة « شراع الذكريات » :
 أين يا ربع بعد زحف العوادي
 مرتع كان مخصب الجنبات
 أين بيض المنى بسود الليالى
 أين ملهى الهوى وأين لداتى
 ذكرتنى أيام نفرح بالغيث
 ونغدو فى السبل بالوثبات
 والحوارى بنا توصوص كالنجم
 بليل ينوء بالظلمات
 والجدار الذى يريد سقوطا
 راح يعطى الانذار بالقطعات

نحن من تحته نجلجل بالضحك
ونثنى الأعناق باللفتات
ونباح الكلاب يخرق الأذن
بصوت ممزق البحـات
وقطيع الأغنام يلذعها البرد
فترجـو المعين بالغمغمات
والرذاذ الملتاع من صخب الريح
يدق الأبواب والعتبات
والعيون التي تحاذر أن تلقاه
خلف النوافذ المقفلات
وعلى الدرب هوة تنثر الذعر
بما حولها من العشرات
واللحاظ التي تخطفها البرق
تضيء الطريق بالومضات
وعلى نورها نسير زرافات
نبارى الرعود بالقهقهات

صورة وأيم الحق تجمع كل الصور الشعرية الرائعة ..
ومعان بالغة القوة فى التعبير وفى إعادة خلق التجربة ،
كأنها مرآة صافية نقية ..

كل شيء فى هذه الأبيات صادق وطبيعى ..
كل كلمة فى بيت من الشعر لا يمكن أن تحل محلها كلمة
أخرى ..

كل غرض كامن فى نفس الشاعر أراد له الظهور فخرج
من دائرته الذاتية الى العراء والضوء ..

وشاعرنا هنا يشرح وفق طبيعته وهواه ، وليس وفقا
لتوجيه أو فكر أو مذهب .

لقد تذكر أيام صباه فماج قلبه بالحنين والشوق ونظم
الذكرى شعرا طلع علينا فى ثوب طريف وذوق سليم وإيقاع
منظم ولفظ يمنح القصيدة من الجرس والإيحاء والتأثير
الشيء الكثير . .

ثم نأتى بعد ذلك الى الشعر الوطنى العربى فى دواوين
طاهر زمخشري الثلاثة ، فشاعرنا لا ينسى قط وطنه الأكبر ،
وطن العروبة المجيد ، وهو لا يستهين بالعمل البطولى العظيم
للجندى العربى فى حرب رمضان المعظم ، - حرب تشرين -
ذلك الجندى الذى حطم أسطورة الخوف من العدو ، وأماط
القناع عن وجه ذلك العدو فاذا به يصرخ فى ساحة الحرب
معترفا بهول ما يعانى :

فالدمار الذى نشرنا على الأرض
رمانا بهوله وطوانا
والفناء الذى يكشر نابا
لاك منا الأرواح والأبدان
أهم العرب أم أبالس حرب
قد أجادوا من فنه ألوانا ؟
والبطولات فيهم تصنع النصر
وتحمى الدمار والأوطان

ومثل كل فنان أصيل مرهف يحس شاعرنا زمخشري
بالآلم يعصر قلبه حين ينظر حوله فيرى الخيانة والخذل من
بعض أصحاب نيقول فى مرارة وأسى :

ان لي مجهرا يريني الغفايا
 في تضاعيف زمرة أدعياء
 من خؤون عاطيته الود صرفا
 فتواري يكيد لي في الخفاء
 أو جهول أراه في يماري
 وهو عشواء لا ترى أضواءي
 أو لثيم فتحت منه عيونا
 ليري الدرب فانبري لمداي
 أو مداح يفتر عن جسم أفعى
 وهو ينقض جارحا من ورائي
 أو دعي حسبته موضع الود
 اذا بي أراه أصل الداء
 كلهم أرهقوا الحقود وراحوا
 يتبارون في ادعاء الوفاء ...
 ولكن ... ماذا بعد ذلك ؟ وهل شاعرنا حزين يائس
 حقا ؟

كلا ... وألف كلا ... انه أكبر من أن يلتفت الى
 الصفائر انه الشاعر العملاق ، انه الطود الراسخ اللا مبالي
 بهذه التفاهات كما يقول :

أنا للمجد أبتنيه صروحا
 لا هراء مبشرا في الفضاء
 ديدني النجج والسواء سبيلا
 ولو اني أسير في رمضاء

كل يوم يمر وهو حفيـل
 بسطور كتبتها بدمـائى
 وستبقى على اللىالى سجلا
 لم تشوّه زائفات الرياء

★★★★★

وهناك ظاهرة واضحة كل الوضوح فى شعر طاهر
 زمخشرى الا وهى الصبر ، انها صفة نبيلة تجعلنا نتحمل
 متاعب الحياة فى جلد وأمن . ولقد ذكرها الشاعر فى كثير
 من قصائده :

كلما ضاق بى سبيل توجهت
 الى غيره لأوج المعـالى
 فاذا أوثقت خطاى المقادير
 وجاشت بها صروف اللىالى
 أو اذا عربت هموم بنفسي
 وأذابت حشاشتى بالثقال
 وتعثرت فى الطريق فلا ألمج
 حتى وميض برق لآل
 وأنا سايح أهيم بلج
 صاحب الموج بالأسى القتال
 فى يدي المجداف يعصف بالموج
 ويلهو الشراع بالأهـوال
 كلما زمجرت هموم توارت
 خجلا من تجلدى واحتمالى . . . !

وباعماق البراكين ترمى
 كاسفات الحدود بالزلال
 وسفينى يخوض فى غمرة الأيام
 حربا عملت فيها نبالى
 كلما راش لى سهام خطوب
 مزقت من حرورها أوصالى
 اتحدى الشقاء بالطعنة البكر
 وأستل للمأسى نصالى
 وهكذا الشاعر زمخشرى يصبر على المحن وليس معنى
 الصبر أن يستكين أو يلين ، بل يتحدى القدر فى أنفة
 وكبرياء .

ثم لا ننسى أنه الانسان المؤمن الذى أسلم قياده الى
 الخالق والرحيم .

كم تدرعت باصطبارى وأسلمت
 قيادى لله رب الجلال
 والى منه بسطت يمينى
 والى بره شددت رحالى
 فهو الله لا أحس لديه
 ان همى فيضه بذل السؤال
 وهو الله أضيق بما قدر
 اذ لطفه قريب المنال
 وهو الباسط المدبر للأرزاق
 والبر واسع الأفضال
 لا أبالى الاقتار ، لا أرهب
 الأقدار ما دام مرجعى للزوال

شاعر انسان يؤمن بالحق ويتحلى بالصدق ، يقدس
الوفاء فى عالم ملئ بالمخاتلة والنفاق .
انه ذو طبيعة عفة جادة لذلك عاش ويعيش هاربا من
واقعه .

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لشاعرنا فمطالبتها كثيرة
وأشواكها دامية ، ولكنه يجد الراحة فى الشعر . . يتفيا
خلاله الآمنة ويعيش من خلاله فى أمن وسلام . .

والآن . . وقبل أن أدخل روضة الشاعر الغرامية
المليئة بالزهور اليانعة ، أحب أن أنوه فى كلمات قصار أن
للشاعر كثيرا من القصائد التى استخدم فيها بيانه للدفاع
عن الانسانية المعذبة وتناول فيها كثيرا من الأغراض
الاجتماعية داعيا الى التفانى فى سبيل عزة وطنه والعمل على
تقدمه وازدهاره . .

والآن . . وقد أنطق الجمال عباقة الفن فى العالم .
ففاضوا به رسما ونحتا ولحنا وأدبا . . فالجمال عند الشاعر
ظاهر زمخشرى قد بعث فيه ذلك الشعور الفياض والاحساس
العالم بالروعة والاعجاب . . فأثار شاعريته وخياله ووضع
فى صفوف النوايب . . ومنحه قدرة وافية فى التعبير عما
يجيش به قلبه من نفحات روحه القلقة .

أجل . ان للجمال قوة معنوية هائلة ترد عنا الخوف
ولكنها فى الوقت نفسه تمدنا بالانفعالات المبهمة القلقة ،
ذلك ان الجمال عند زمخشرى مقرون بالحب وبالعاطفة
الجياشة النارية .

والمرأة عنده هى سر جمال الكون بأسره ، وهى أمامه فى
كل ركن يهفو اليه ، أمامه بجمالها الساحر فى كل قصائده
المدونة فى « شهرزاد » و « أنت لى » و « تعالى » ، لقاء ،

غنوة ، بسمه ، وكما تكثر قصائد الغزل فى دواوين زمخشري
تكثر أيضا قصائد الهوى المعذب بتباريح الحنين والشوق ،
كما فى قصائد : الموعد المنتظر ، عرفناها ، أحلى المنى ،
سراب ، الأمل ، مزار الآهات • وغيرها الكثير • • ولنستمع
اليه وهو يترنم بجمال « سعدى » :

سرق الورد عطرها فتنى
وعلى خصرها النسيم تعدى
فاذا البدر قد توارى حياء
من جبين بنورها يتحدى
واذا الغصن قد تكسر اجالا
لمن فاقه دلالة وقدا
واذا الجدول الذى رقرق عذبا
لم يعد للرواء يصلح وردا
واذا الطير راح يرهف سمعا
لفشيد سوى أرق وأندى
واذا صوتها الذى يعبر الليل
يصب الألعان بردا وشهدا
واذا الروض ينتشى بالأغاريد
ويذكر بين الأضالع وجدا
فلننظر كيف شبه الشاعر فتاته بهذه الصفات الساحرة
ثم أنهى القصيدة بلفتة بارعة :

جئتني والظلام يسرق خطوا
نافسته الأنفاس منها فاكدى

فاضت بنورها صفحة الكون
وسرت بين الأزاهر مهـدا
قلت من يا ترى تخطر فى الروض
فقالوا ٠٠ ومن ترى غير « سعدى »

★★★★★

أما فى قصيدة « صباح » فقد استهلها الشاعر بهذه
الآبيات المشرقة :

أسفر الصبح من ثنايا الظلام
فى المحيا المغرد البسمام
الدجى ضمه اليه فضجت
خصلات من شعرها المتراعى
وعلى جيدها استراحت فلول

منه تهلى العبير للأنسام
وفى قصيدة « خوف » تأتى لصاحبها هذه الموسيقى
المنغومة وتلك الألفاظ الموفقة ومن تساوقها تكونت أرق
صورة وأحلى تعبير حين يقول :

يزحف الوقت نحو يوم فراق
والثوانى رنينها فى سباق
ما حرمنا من الوصال ولكن
ما عرفنا لطعمه من مذاق
والعيون التى تحقد فىنا
قد دماها الفضول بالاخفاق
كلما صوبت إلينا سهامها
نتحدى السهام بالاطراق

وأراد الشاعر أخيراً أن يريح بحره المفضل في الشعر
فمال إلى بحر آخر في قصيدته « الموعد الأخضر » فطلعت
علينا في ثوب جديد رشيق يؤسفني إيجازها :

موعدك الأخضر يا نجمتى
مازلت أخطو نحوه في الظلام
أشلاء أيامى فى قبضتى
وفى فمى فوهة للفرام
فالليلة الضاحية الزاهرة
تبدو لعينى شقوة نائرة
وليس الا همسة ناعمة
من نجمة فى أفقها باسمه
تقول : جدف فى خضم السعير
شراعك الصبر وجرح السهاد
يوقظ فى النفس قوى الشعور
وان تلظى لاهب فى الفؤاد
لا تسأم العثرة بين الدروب
فالموعد الأخضر عند الغروب
بين التلال البيض خلف السهوب
يضمّد الجرح بلقيا الحبيب

★★★★★

وفى تأمل الشاعر الحكيم ، وفى توحد الشاعر الحزين ،
يبدأ ميلاد القصيدة فيصف تلك اللحظة النادرة فى قصيدته
« هناك » :

هناك في السفح على الربوة
تستيقظ الخاطرة الغافية
لتلهب الأعماق بالصبوة
وتلهبهم الأبحر والقافية
هناك حيث الليل في صمته
والأفق جذلان يناغى النجوم
والنجمة العذراء في برجها
فوق المسافات ، وراء الغيوم
هناك في السفح تطوف الرؤى
فاتنة تختال بين الدروب
وترتل الأشعاع ترنيمة
تمس بالسعر شغاف القلوب
فيكسر القلب رفيف السنا
وخفقه الملهوف لحن جديد
والأمل المنشود قيثارة
تشيع في الآفاق رجوع النشيد

★★★★★

على أن شاعرنا الموهوب أراد أحيانا أن يهيء لقارئه جوا
من الطرافة فقدم لنا عدة قصائد رباعية وكم في رباعياته
من جمال .

ولأختم وقفتي بأحدى هذه القصائد واسمها « استفتاء »
حتى نقلب الصفحة أخيرا وعلى شفاهنا بسمه خضراء :

قاضي النهود ألا تجيب معذبا
يشكو اليك الفاتنات الغيد

لاقي الصبابة ما اشتكى من ظلمها
حتى نصبن على الصدور نهودا
وهززن أعطافا تميم رشاقة
وحملن فوق خدودهن ورودا
ووثن موج الصدر يرقص فتنة
فاذا غرقت فهل أموت شهيدا

★★★★★

وبعد * * فقد حلق الشاعر طاهر زمخشري في آفاقه
الرحيبة بجداراة وتغنى بالحسن والجمال والخير والحق
شعرا مثاليا رفيعا صادرا عن خواطر الشاعر الذاتية
وانطباعاته وأحاسيسه *

فهو شعر يعبر عما وهبه الله القدير من لمحية وشفافية
وبلاغة وتأثير مع مراعاة ما يحفظ للشعر العربي سماته
وخصائصه *

وبعد * *

فلنا جميعا نحن سائر الأمة العربية أن نفاخر بالشاعر
العربي الكبير طاهر زمخشري شاعر الأرض المقدسة السماء *

دكتور عبده بدوى فى ديوانه
الحب والموت

« الحب والموت » عنوان ديوان شعري جديد لشاعر رقيق شهير . . تساءلت قبل قراءته : كيف يمزج الحب بالموت ؟ وانتهيت بعد قراءته بالتسليم بما يؤمن به الشاعر . . وهو ان الحب المستحيل المؤدى الى الفراق هو الموت بعينه . .

ولذلك نجد لفظ الموت فى كثير من قصائد الشاعر مثل قصائد « اللقاء الأخير » و « الحب المستحيل » و « طير الموت » وكلها نماذج رائعة توضع لنا اتجاهاته الشعرية وطريقة تعبيره عن خلجات النفس .

وليس من شك فى أن شاعرنا بلغ مستوى رفيعا فى هذا العمل الفنى الخلاق ، رغم دورانه حول محور واحد . . هو الحب ، غير أن الأصالة والموهبة الفنية كانتا القوة النية أبرزت كل ما يشعر به صاحب الديوان . . وأبعدتنا عن قصائده أى ظلل للملل . .

ويتميز ديوان « الموت والحب » للشاعر الدكتور . . بدوى باستقلاله وتفرد وبعده عن التقليد ، فهو عمل قائم بذاته ، ونعم عند قراءته نساق الى جو شامل غامر يوثق منا الحواس والقوى المفكرة ، ويربطنا معه فى انسجام وتألف .

ولقد قلت دائما : لا يهم نوعية الصياغة الشعرية حرة كانت أو مقفاة ، المهم هو الشعر الصادق المعبر عن تجارب صاحبه وما من شك فى أن صاحب هذا الديوان شاعر صادق ينظم عن يقين ودراية ومعرفة واحساس ، ويجمع بين دقة الشاعر وخبرة الحكيم وريشة الفنان •

والديوان ذخيرة طيبة وصورة حية لأحلامه ومشاعره •

لذلك يشعر القارئ أنه أمام قلب يطل عليه من بين السطور ، قلب يشعر أن العدالة يجب أن تشمل العالم ، وأن الصدق يجب أن يعم الكون •

وديان « الحب والموت » يوحى بأنبل عاطفة عند الشاعر، انه تفسير حى للذى يعتلج بين جوانحه عبر عنه الشاعر وأنصح ، ولونه وأبرزه واضحا جليا •• وقد صاحب هذا الشعور العاطفى نزعتان هما : النقد الساخر •• والاباء الأثم •

أجل •• لقد انعكس أثرهما فى الديوان كله • وتجلت شواهد هذا النقد فى كثير من القصائد مثال قصيدة « الآلات المصرية » :

يا صاحبتى ••
صرنا غرباء ••
العالم غير فينا الأشياء
أصبحنا انتاجا خزفيا أجوف
نتشابه حتى فى السقطة
حتى فى الأجزاء المحطومة
نرجو •• لكن ما نرجو لا يتحقق
نفقو فنرى نفس الأحلام المحفوظة
فى كل مساء

وفى قصيدة « الدوار » يحكى شاعرنا مصير الانسان
النبيل فى هذا الزمن الضائع ، فى هذا العصر الزائف ..
مصير انسان أحب الخير واخضر قلبه .

اخضر القلب • وتفرع أغصانا ، وتمايل أثمارا • •
شدوا

وتحسس أن الدنيا فى كفيه
والشارع مزهو فى عينيه
والنجمة مصباح البيت
والعطر ستار الشباك
والغيمات العتبه

★★★★★

هذا الانسان ، هل يستطيع تكملة السير فى نفس الدرب
المضىء .. ؟ كلا ..

وببطء يلقي نفسه
فى جوف دوار هائل
لكن السوط القاسى يهوى فوقه
يتورم فى أعماقه • •
يلقيه فى طرف من أطراف المحور
لحظات ثم يدور • • يدور • • يدور
من حول الكذب • • القهر • • الردع ، الأيام المسلوبة
حتى لا يبقى منه شيء
حتى يغدو كذبا ، قهرا ، ردعا ، أياما مسلوبة
ويجف الحقل الأخضر فى الصدر

ويموت .. يموت
فى أرض يبكى فى طرف منها وجه الحب
يتعفن فى بستان منها تفاح القلب ..

★★★★★

وهكذا عندما نقرأ شعر عبده بدوى ندرك مدى قوة
التصوير وسهولة التعبير مع عمق المعنى وسعة الخيال ،
وشاعرنا يصارع الحياة بالكلمات ، الحياة التى شنت حروبها
عليه ، وهو يعلم جيداً أن المشكلة ليست فى المبادئ والغايات
وانما هى مشكلة وسائل وامكانيات .

ولنستمع اليه فى هذه القصيدة البديعة : « نيران
الوثنية » وقد وقع الشاعر فى المحذور ، وشعر بلوعة
الحب ، ورغم عذاباتة فهو ينشد مزيداً من اللوعة والألم .

ما أسعدنى أن لاقانى
فبعمري نيران وثنية
أشواق لم يحدوب فيها الظهر
أحلام لم تتقوس كالقسطه
نبع لم تلمسه شفة ظمأى
وعلى أقدامى آلاف الرقصات
وبصدري كل الأمنيات ..

★★★★★

ولننظر الى هذا البيت : أحلام لم تتقوس فيها الظهر .
وهذا البيت الثانى : وعلى أقدامى آلاف الرقصات
وبصدري كل الأمنيات .
انه تشبيه غير مطروق من قبل ، بكر كالأرض البكر ..

وهكذا الشاعر حريص على استخدام كل ما هو غريب •
ورغم ادراكه ما فى الحب من ألم وشجن وقلق ، فهو
الفراشة المحترقة بالنار ، يفضل أن يتناثر فى قلب الحركة •
فالجمود لديه موت محقق ويهتف :

فلتمسك كفى ، ولنذهب فى قلب العصر
وعلى كل النجمات •
فلأن نتطاير فى قلب الحركة
خير من أن نبقى فى عش ساكن
فى أشجار الأموات •

★★★★★

وفى قصيدة « تشمق » نفس المعنى ، فكما انه يرفض
الجمود وعدم الحركة فهو يريد النار ، النار التى لا تعرف
الرحمة ، يريد لها لتصهره ، ويصنع منها هذا الشعر الملهم :

لا تطفى هذى النار
لا تنزل فيها ماء الرحمة
اتركها ترعانى عضوا عضوا ، فكرا •• فكرا ••
فالنار صراطى نحوك
خطوى نشوان اترك
هى تلهبنى ، تلقينى فى الصحراء
قطرات من حب •• صرخات من ماء ••

★★★★★

وعلى هذا المنوال وبمثل هذه الطلاقة فى التعبير ، يكمل
شاعرنا قصيدته هاتفا :

لا تحرمنى من فاكهة النار
من موسيقاها فى الأشعار
من قسوتها فى الأفكار
فهى المعراج اليك
لييك ... لبيك

★★★★★

ومن الملاحظ أن القصيدة عند شاعرنا تجمع أحداثا
وخواطر مفصلة تفصيلا دقيقا فصاحبها حريص على أن يهيىء
للفكرة الشعرية مجالا فسيحا يتيح لها أن تصل من نفوسنا
الى الأعماق .

وهو فى كثير من قصائده نجده مضطرب النفس ، ثائر
الحس ، يحاول اصلاح الواقع مع قليل من التفاؤل وكثير من
الحذر .

وفى قصيدة « العصفور الأزرق » نجد أنها صرخة عتاب
الى ذلك العصفور المتمرد ، فقد أحبه الشاعر « وفرط »
لأجله رمان قلبه ، وشبك أفرعه فوق ضلوع الشمس حتى
يبنى له عشا من الريش الناعم .

وكم طار من قبل ثم عاد واليوم يطير بلا رجعة :

لكنك كنت تفىء الى
تمشى فى بستانى الرائع
تعدو وتنقر فى خصبى اللافح
تتوارى فى عمرى حتى البذر
تصاعد من جذرى حتى الأثمار
تتأمل وجهك فى عيني غدري
تتوقف عند ينابيعي وتلف على المنقار

تأوى فى ليلى فجرا مشتاق
تصحو من جوهرة فى أعماق الأعماق
تتغلغل فى أغوارى حتى النار
وتشير رقيق الأشعار

★ ★ ★ ★ ★

و يموت أخيرا هذا الحب العملاق بعد أن بلغ صاحباه ..

أسرار الأسرار
أصبحنا أنوارا فى قلب الأنوار
وتلملمنا .. وتشاءبنا
وأدرنا ظهرينا فى صمت قاتل
والبهو يعد علينا الخطوات
وكأنا نحمل شيئا مات .. شيئا مات ..

★ ★ ★ ★ ★

وهكذا نرى أن ديوان « الحب والموت » للشاعر الدكتور
عبدى بدوى يحوى شعرا واقعيا ، يقوم على الفكرة المطلقة ،
ويجمع الى خلجات النفس السمو الروحي والرمز المحبب الى
الوجدان ..

كما تتكشف فيه القدرة على منح اللفظ المعنى المطلوب
خلف ستار حريرى الملمس هفهاف ..

ولازلت حريصة على عرض بمض الأبيات التى تظهر
أجمل تشبيه وأحسن تصوير فى مضمونها ..

ففى قصيدة « درب » يحكى الشاعر عن دربه القديم

أيام كان وحيدا لا يعرف الحب ويقسارن بينه وبين درب
الهوى :

لكن طريقى فى هذه الأمسية
نفق فى نجم ٠٠٠ تجويف فى أغنيه
ضوء معزوف فى سمفونية
كلمات قد نبتت بجوانبها الأشجار
شمس تتعري فى قلب الأمطار
عربات ٠٠ أطفال ٠٠ أزهار
تفريعات من أشعار ٠٠

★★★★★

وفى قصيدة « اللقاء الأخير » يتساءل الشاعر ما الذى
أوصلهما الى هذا الحد من الجفاء :

لم يحدث شئ فى تلك اللقيا
الا ما يحدث بين العشاق
لكنى ٠٠ أبصرت بفرحة لقيانا شرخا غائر
وجفونا لا ترتاح على الأحداق
ورأيتك والأشواق على الأشواق
ثمرات فراق ٠٠ آهات عناق

★★★★★

وحاول الشاعر أن يتحدى ويرaug موت الحب وأن يضيفى
الفرحة على هذا اللقاء ولكن عبثا ٠٠٠

ما أكثر ما أجهدت بلقيانا الكلمات
كيما تتسع التدوير الكامل للشمس
وجميع السيقان الفرحة للأزهار

والزرقعة من ايقاع الأمطار
وعصافير النار
والموسيقى من كل الكونشترات
لكنى حين تعمقت النبرات
أحسست بشيء مات ..

★★★★★

وهناك قصيدة أخرى بلغت ذروة الابداع وهى «الشجرة
والعصفور» ويصف فيها الشاعر نفسه على لسان الشجرة
وهو يناشد العصفور :

واذا عصفور حط على
شاغل فى الخصب الميت
دق المنقار بغصنى فاخضر
مس الأوراق الكسلى فارتعشت
لا تغمض عنى عينيك
فانا أورقت الليلة فى أرض الحزن
تاجى ، الجذر ، الساق ، الأوراق ، الأثمار
قلت اتبعنى فغدوت
غرد .. فشددت
كن نورا .. كنت النور
صر ظلا .. صرت الظل

★★★★★

وتهتف الشجرة وقد أروعها أن ترى العصفور وقد تهيأ
للرحيل بعيداً عنها :

يا هذا العصفور العاشق
فلتنزل في عمري ضيفا
ولتناكل من أثمار الأشعار
لكن لا تتركني وحدي هذا الموسم
فبقلبي شيء يمكن أن يعطى
شيء كالشمس بدون غيار
شيء هدار ...

★★★★★

ومثل هذه القصائد الوجدانية كثيرة في ديوان « الحب والموت » وفي حرية وانطلاق تمكن صاحبها من الاعراب عن تجاربه في مرونة وأصالة ، مقيدا شعره بنظام موسيقى يقوم على عناصر الجمال من ايقاعات مسايرة للانفعالات . فكان أن أحسنا من خلال سطور القصيدة بانسجام وتآلف مع أفكار الشاعر ، وامتزجت مشاعرنا بمشاعره الوثابة المتحركة حتى تمنى القارئ في كثير من الأحيان لو أن القصيدة لا تنتهي كي يظل تأثيرها حيا في العقل والوجدان . وليس غريبا على صاحب الديوان هذه الأصالة في الشعر فهو شاعر ذو مواهب أصيلة ..

ويطيب لى أن أنه أيضا بقصيدة « اختيار » فهي قمة في الأداء والتعبير ..

ولما كنا دائما نبشر بأن الشعر الحر قادر على مواجهة مستقبله في ايمان وثقة فقد برز شاعر الحب في أدائه « الكلاسيكي » مع عدم اعترافى بهذه التسمية فان الصياغة الكلاسيكية الجديدة أباحت تنويع القافية في أبيات القصيدة الواحدة .. وتغيير الأوزان والبحور في القصيدة الطويلة ،

فى سبيل التحرر من القيود ، فأصبح الأمر يفرض علينا أن نطلق عليها « الشعر الحديث » .

أقول ذلك تمهيدا لعرض بعض أبيات من قصيدة « حب فى يافا » وهى من الشعر المقفى على لسان فلسطينى حزين :

فى حوض يافا كان لى بيت كاحلام الزهر
نسجته أفراس الوجود بأبرتين من السحر
واليوم قد ضاعت مع النفس البشاشة والصور
بمضى استمال لبومة تقعى على وجه الخطر
من يعطنى أرضى التى صارت بقايا مجزئه
من يعطنى من حقل المنزوع منى سوسنه
لا بد لى من عودة فرحانة عند البكور
فيها أدق الباب دقائق ثلاثا فى غرور
ان لم أعش فليأخذ الأشواق من قلبى صغيرى
وليمش فى يافا ليعضن كل ظل .. كل نور ..

★★★★★

وبعد هذا هو الشاعر الدكتور عبده بدوى وهذا هو آخر ديوان له طبع فى مصر .
أحسب أنى طرقت معظم خطوطه وان كنت توقفت طويلا عند خط العاطفة .

وعاطفة شاعرنا هى محور شعره فى مجموعته « الحب والموت » ففى هذه العاطفة وبها أبدع الخيال وبدت الحقيقة منغلقة فى ثوب شفيف يفرى بالتطالع الى الخلف لنستشف الأعماق .

ولا يسع القارئ الا أن يفكر .. ويفكر حتى يهتدى الى ضالته ..

وتلك هى المتعة الكبرى فى هذا الديوان ..

دكتور سعد ظلام في ديوانه
أدواح وأعاصير

عندما بدأت قراءة ديوان « أدواح وأعاصير » للشاعر الدكتور سعد ظلام ، كنت على يقين بأننى سألتقى عبر صفحاته بصنف معين من الشعر *

فالذين يعرفون هذا الشاعر شخصيا يعرفون أن أبرز سماته هى الشفافية والايمان والنزوع الى الخير *

ثم يأتى بعد ذلك الاقتصاد فى العبارة وعدم المبالغة ، وقوة التركيز *

وهذه السمات كلها هى التى دار حولها ديوانه *

انها مرآة لانفعالات الشاعر بتجاريبه وذكرياته **

فهى تعد وثيقة قيمة لجوهر شخصيته بما فيها من توازن وصفاء وصبر وقوة فكر وارادة **

ان هذه المجموعة الشعرية وان اختلفت فى المضمون فانها تشترك فى صدق الاحساس *

وعلى ذلك فالمتعمق فيها يجد مجالا خصبا لتعرف طبيعة الشاعر الدكتور سعد ظلام *

وأول ما يلمس فيها القارئ هي تلك الحساسية المسرفة
الثائرة حيناً والمتفائلة أخرى مع تواضع ونبيل .

ولقد تخيرت موضوعات متنوعة منها الصوفي والوطني
والوجداني حتى لا أقصر على نوع بعينه كي أعطى للقارئ
فرصة الافادة مع الامتناع .

والديوان يدور حول مدار واسع رحيب ، ويعج
بالأحداث وبحقائق الدنيا الزاخرة بالعواطف السامية ،
عواطف العدل والرحمة والتسامح .

بيد أن قسوة الناس وأخطاء المجتمع ومرارة الذكرى
أضفت على بعض القصائد نقدات اجتماعية لاذعة ربما أراد
بها الشاعر مداواة الانحراف وربما أيضا أراد بها الترفيه
النفسي .

مثال ذلك في قصيدة « أنا يا حبيبي عاشق » :

الناس ما حنوا على	فطرقت بابك يانبي
الناس قد فهموا الحياة	مظاهرا وهوى شذى
لا يؤمنون بما سواه	فقدسوا الرجل الثرى
فاذا مشى أو قام أو	قد مر أو حضر الندى
وقفوا وحيوا في جلال	ركبه فهو الحفى

ويتساءل الشاعر : ما ضر الناس لو أذعنوا للحق
وفاءوا . . وعرفوا أن المحبة والسلام هما التقدم والرقى .
وأن الغنى هو غنى النفس .

أنا يا حبيبي عاشق وهواك عندي كل شى
وأنا الفقير على المدى وبحبكم أبدا غنى

★★★★★

وتنتاب الشاعر ثورة يأس فى ظروف طارئة وينظر
 حوله فاذا بالبلبل الحزين يحاكيه صمتا وحزنا ..
 حكت شكاتك فى الحياة شكايتى
 وحكى جراحي حالك المتقلب
 البؤس وحدنا وأخى بيننا
 والأسر جمعنا جراحا تكتب
 الحب .. : ها هو فى الحياة ذليحة
 والأمن زور والأمان مصلب
 أنا بين أجبابى غريب منهم
 وأذل من يحيا الغريب الأغرب
 ★★★★★

بيد أن الشاعر مؤمن بالانسان المصرى وبطيبة قلبه
 وبطاقاته الكامنة ، مؤمن بقلوب الأوفياء الذين منحوه أخلص
 الحب فى عهد صباه وفى المعهد الدينى حيث تلقى العلم
 فى « كفر الشيخ » فيقول فى قصيدة « أهواك يا بلدى » :
 أهلوك هم أهلى وصفوة رفقتى
 وأحبتى وهم هم اخوانى
 فيهم نشأت .. كسيت من أفراحهم
 ورضعت من عطف ومن تحنان
 هم أدفأونى كالقطا بجناحهم
 وأظلمنى فى القيقظ قلب حانى
 « المعهد الدينى » فيه ترعرت
 أوتار قلبى واخضرار بيانى

ورأيت في علمائه كل الذى
أرجو فكانوا لى المنار الثانى
ماذا أقول وكل لحنى منهم
بم قد أفى ؟ وأنا الأسير العانى

★★★★★

وهكذا نرى أن الشاعر سعد ظلام يعتمد فى شعره قبل
كل شىء على الصورة الحركية والسمعية مع حيوية اللفظة .
ويبدو ذلك جليا فى قصائده الدينية التى تتوج الديوان
حيث يخاطب الحبيب الأعظم فى جلال وخشوع وحيث يفرغ
حمولته من آلام وتوترات نفسية ليعرضها أمام ربه فى
تلقائية بعيدة كل البعد عن التكلف . .

ولنستمع اليه فى قصيدة « يا رب » :

يا رب انك فى دهمى وكيانى
نور أغر يذوب فى وجهـدانى
أنا يا ألهى ان ظمئت فليس لى
الا نـداك اذا أراد سقـانى
أنا ان مرضت فما الأنام بنافعى
لو شاء رب العالمين شفـانى
يا رب ذكرك فى دهمى أغرودة
نعمت بها روحى وفاض لسـانى

★★★★★

ولقد أفصح الشاعر للرسول الكريم فى حب فياض عارم
أكثر صفحات الديوان ، فكان أن أتحننا بقصائد رائعة
مثل « محمد صديق الحياة » و « بشير الضياء » و « النور
المهاجر » وغيرها .

ولا غرابة فى ذلك فالدين عند شاعرنا هو احدى
الحواجز النفسية التى أضفت على نفسه القلقة أمنا وسلاما .
وفى قصيدة « ابتهاج فى محاريب الضياء » وهى لا شك
رائعة الديوان - أبدع الشاعر وأجاد ووفق التوفيق كله . .
وهى تحتوى على ثمانين بيتا معبرا عن خوالج النفس
البشرية ودافعا لخير المجتمع . . ولنستمع اليه حيث يخاطب
هلال شهر رمضان المعظم :

أشرق على الدنيا هدى وضياء
وانشر على الأكوان منك دواء
واسكب بكل ثنية أو ربوة
أملا يفيض وراحة ورجاء
وتلمس الأجواء . . أعماها القذى
لا تبعد الأنواء والأضواء

الأرض دونك يا هلال . . قواسها
أخمد جراحات عظمى وداء
ويتجه الشاعر بفكره الى أمة المسلمين « أحسن أمة
أخرجت للناس » وما تعانيه من تمزق وجراح وما تقتتره
من ذنوب وآثام :

أنى اتجهت فثم شعب ضائع
عفن الحياة ممزق أشلاء
الدين فيهم كالغريب مضيع
ينأون عنه ترفعا واباء
ما بالناس والكون فى ذرواته
نمضى فتقدفنا الغيوب وراء

نبني المنى في كل رابية ضحى
فتهدا كف الخطوب مساء

المسلمون بكل أرض ضيعوا
واحسرتاه ... تفرقوا أهواء

★★★★★

وأقبل الشهر الكريم لكن القوم في جهالتهم حسبوه فتنة
ووليمة فيهتف الشاعر في قصيدة « ابتغال في محاريب
الضياء » :

حسبك يا رمضان مائدة تقام
لدى الغروب وسهرة حمراء

كلا وربى .. ما لذلك خالق
فرض الصيام وما بذلك جاء

الصوم معناه الكبير تسامح
يدنى القلوب فتلمس الارضاء

الصوم أن يهبوا الفقير ويمسحوا
دمع اليتيم ويرحموا الضعفاء

ماذا يفيد الصوم والدنيا هوى ؟
وقلوبنا ملئت غوى ورياء

ماذا يفيد الصوم ؟ جوع منافق
ولسانه أذى الورى وأساء

ماذا يفيد الصوم ! لثة عابد
وفؤاده بالحق قد فاض غباء

ماذا يفيد الصوم طول عبادة
والقلب يضمم للورى بغضاء

ماذا يفيد الصوم ؟ مانع نفسه
أكل الحلال .. ويأكل الفقراء

ولقد أطلت فى شرح هذه القصيدة وتلكأت فى وقفتي
أمامها لأبرز حقيقة كبيرة هى الكشف عن شفافية روح
الشاعر أولا ثم ابداء وحدة التجربة الشعرية واستواء
أبياتها وانسجام موسيقاها .

أجل . ان شعر سعد ظلام مستقل بعيد عن شعر أهل
الصنعة .. ان له خصائصه المنفردة وأسلوبه المميز .

ولم يقتصر الشاعر على التعبير عن مشاعره الصوفية
بل شمل الوطن أيضا فى « أهواك يا بلدى » وفى « نحن
نمشق الحياة » وهى فى أعقاب نكسة يونيو وفيها مزج
الشاعر الأمل بالايمان ..

لأننا مع الاله ومؤمنون بالاله
مهما طغى الطغاه مهما طغى البغاه
لا بد أن نتصر لأننا مع الاله

وفى مأساة فلسطين يصور لنا الشاعر أحزان اللاجئين
وما يتردد فى حناياهم من مشاعر جريحة كما فى « أمسيات
عائد » وهذه القصائد الوطنية هى ثمرات توازنه النفسى
ونضج شخصيته وتجاربه الصادقة .

وفى قصيدة « أين الطريق » فى مؤتمر البحوث الاسلامية
المنعقد فى رحاب الأزهر يهتف الشاعر وقلبه يكاد يطفئ
فرحا وحباً :

أحبائنا ... انى أتيت وبى هوى
وقوادي الحانى أتى يستاف

تتعانق الآمال بين جوانحي
وتغرد الأطيار والأطياف
يا مرحبا بالمسلمين يضمهم
فى قبلتيه « الأزهر » المضياف
نادى قلبى الصادقون وأحرموا
وسعوا له مثل الحجيج وطافوا

وعلى هذا المنوال تسير القصيدة بإيقاع لفظها المتوائم
ورجمه المستحب ..
يا أزهر الأمجاد يا مهد السنا
يا خير ما أبقى لنا الأسلاف
طوبى لعمرى فى الوجود مغلدا
يا كم تقاس بعمرى الآلاف
جاهدت كالمصباح أقبية الدجى
وزرعت فيها النور وهى عجاف
مرت عليك الحادثان ولم تهن
حتى طواها السير والتطواف

واضح اذن مما سبق ذكره أن ديوان « أدواح وأعاصير »
يعتمد على الصياغة التقليدية من ناحية الأصالة والجزالة
والأناقة والسير على النهج التقليدى وان لجأ الشاعر فى
الوقت نفسه الى الروح المعاصرة الوثابة المتحركة والى
المصطلح اللغوى السهل المتساق مع الحياة المحاضرة ..

وكما يلجأ الشاعر الى السلاسة وتنوع الموسيقى وتآلفها
مع الفكرة فى مرونة وحيوية *

يبتعد أيضا عن الصور الضبابية التى تتطلب الجهد
والحيرة فى الكشف عن الغموض الذى يغلف قصائد بعض
الشعراء *

لذلك لم يعد هناك مجال للملل أو التملل عند قارئ
هذا الديوان *

ان القصيدة تدور حول موضوع بعينه لا تخرج عنه
والموضوع يعبر عن أفكار مترابطة قوية *

كل ذلك فى نضج فنى أصيل *

بيد انى لاحظت أن الشاعر سعد ظلام لا يعترف بجمال
الطبيعة ذلك لأنه لا يعترف بالطبيعة أصلا **

لقد نسيها تماما فى مجموعته الشعرية التى هى ترمز فى
عنوانها « أدواح وأعاصير » الى ما تحوى الطبيعة من خصائص
ذاتية *

وهذا هو المأخذ الوحيد الذى نأخذه عليه **

والا فأين سحر الغصون والزهور والجداول .. ؟ أين
أغاني الطير والندى والشذى وكل ما يجعل الوجود نشيدا
مقدسا تباركه السماء قبل الأرض **

أليست الطبيعة هى الأخرى من عمل الخالق الأعظم .. ؟
وكيف لا ونحن نذيب فى أعماقها المتوهجة شجوننا ونرتفع
فى حماها فوق ضغط الحياة ووطأتها *

أقول ذلك لأنى أرى فى أعماق الطبيعة ما يتصل بواقعية
الديوان بما فيه من بذور رومانسية متوغلة * نلمسها فى

شعره الوجدانى العذب الرقيق حيث يكشف لنا الشاعر عن
أدق خلجات قلبه فى صدق صادق *

وسط تهويمات خيالية توحى بقدره الشاعر على وصف
الطبيعة فى سهولة ويسر *

وقد لمسنا رومانسية قصائده فى « أماء » و « سحر »
و « ولد الهوى والحب » و « الى ولدى » وكلها قصائد وجدانية
ذاتية حيث يقول فى قصيدة « أماء » :

أماء : تلك محبتى شيعتها
ودفنت فى مثواك كل رجائى
ودفنت فى برديك أسمى منية
كانت تفرد فى شفيف سمائى

الناس كل الناس فى مغناهم
وأنا أهلت الترب فوق غنائى

★★★★★

ويقول الشاعر فى قصيدة « سحر » حيث يهدى شعره الى
ابنته وأدفاً حب وأحنى انسان وأولى أنغام اللحن وأطهر آيات
الحياة :

أحبك يا حلم أحلاميـه وخفق فؤادى وإيمانيـه
وياجنتى وربيعى النضير وأزهار عمرى وأوراقـيه
وياكل ما أرتجى فى الوجود وتصبو لمرآة آماقيـه

★★★★★

وأما قصيدة « ولد الهوى والحب » فيهديها الشاعر الى
زوجته الوفية الطيبة ويهتف فى حب واعتزاز :

دنيای يا أملی ويا أفراحي
 يا فجرى الحانى وشمس صباحی
 ما كنت أدري قبل حبك ما الهوى
 ما النور .. ما هذا الجمال الضاحی
 كانت حياتی لا تنير ولا ترى
 وكأنها بيت بلا مصباح
 وحدى مع الأيام لا خل معی
 أشكو له همی ولسع جراحي
 وقد وصف الشاعر حياته قبل لقائه بالزوجة وصفا
 طريفا صادقا فخرجت لنا القصيدة رافلة فى أبهى صور
 النجاح ووفق الشاعر فى انتقاء ألفاظها وفى التعبير عن
 أحداثها الحية المعاشة ..
 وأجد نفسى مازلت مساقة الى عرض بعض أبيات منها
 ويصف الشاعر كيف كان يعيش وحده الا .. من :
 الا بقايا مكتب ويراعة
 وقصائد عجزت عن الافصاح
 وجرائد صفراء غيرها البلى
 من طول ما لاقين من الحاحی
 وكتيبات من هناك ومن هنا
 قد بعثرت بددا بكل نواحي
 ولربما طلع الصباح ولم أزل
 يقظان أشكو وحدتى لصباحی
 ولقد يمر الشهر ليس يزورنى
 فى منزلى روح من الأرواح

حي ٠٠ ولا حي وبين جوانحي
عض النيوب كمبضع الجراح
ثم يشرق على شاعرنا فجر جديد وتهل الزوجة :
وأيت كالأحلام يحرسك الهوى
وتحوطك الآمال كالأفراح
جادت بك الأيام وهى بخيلة
وشدت بك الدنيا على أدواحي

★★★★★

وبعد ما زلت أقول ، انها خطوط عامة لصورة الشاعر
سعد ظلام تتطلب من القراء ابرازها على حقيقتها فى ألوان
ثابتة .

ان ديوان « أدواح وأعاصير » يعد ذخيرة طيبة وصورة
صادقة لمشاعر صاحبه . .

فيه قوة وفيه عمق يشهدان له بالموهبة والأصالة . .
ويشيران الى شاعر يكتب الشعر لأن روح الخلق والتأمل
تسيطر عليه كفنان ملهم . .

أخرج لنا من أعماق وجدانه ما يثبت ذلك . . فأضاف
الى المكتبة العربية مازادها اثراء ببديع النغم . .

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي
في ديوانه « أشواق الحياة »

عندما يكون الناقد لدراسة أدبية ما « سيدة » ويكون
« المنقود » رجلا » وعندما تكون هذه السيدة شاعرة لا تملك
غير عدة مجموعات شعرية بينما المتلقى نقدها كاتبا وأديبا
قد صال وجال فى عالم الأدب وملأ المكتبة المصرية بمئات
من المؤلفات الضخمة القيمة *

ما الذى - اذن - تستطيع قوله تلك المقتحمة ابراج
هذا الأديب ؟

غير أنى أستطيع أن أقول الكثير بعد أن قرأت ديوان
« أشواق الحياة » للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى « وأن
أمضى فى مقالاتى دون تردد *

فالديوان هو الذى يهيب بى أن أكتب عنه *

وديوان « أشواق الحياة » وان كان يعد الانتاج الشعرى
السادس لصاحبه غير أنه يعد الديوان الأول فنا وأصالة
ونضجا *

« هو القفزة الأولى لصاحبه نحو القمة
وهو الوليد الذى جاء الحياة معلنا ميلاد والده »

واليوم ، اليوم فقط يستطيع كل قارئ للديوان أن
يشير الى صاحبه « هذا شاعر » وشاعر كبير .

فلقد عرفنا جميعا دكتور خفاجى أديبا أميناً فى بحثه
دقيقاً فى نقده ، رائداً يجمع بين النبوغ الأدبى الأصيل
والثقافة الواعية العميقة ، مع غزارة فى الانتاج بلغت حد
الدهشة مما جعل اسمه لامعاً وسط الحقل الأدبى بحصاده
الوفير الجيد . . .

انه حصاد متنوع الألوان ، ذو قدرة كافية على التقدير
وطاقة وافية على التبرير ولكن . . أجل ولكن .

ترى ما الذى جرى للخفاجى صاحب المئات من المؤلفات
النثرية كى يميل أخيراً بكل ما فيه من قوة نحو الشعر . . ؟

فنظرة اليوم الى دواوينه المتتابة تجعلنا نعتف أخيراً
بشاعريته بعد أن ظلت طويلاً متوارية وراء الغمام .

نعم . . لقد حدث انقلاب خطير فى شعر الخفاجى .

وديوان « أشواق الحياة » خير دليل على هذا الانقلاب .
فكما تغيرت اتجاهاته ونظرياته تغيرت أيضاً موضوعاته . .

لم يعد شعر الخفاجى يعتمد فقط على الرصانة
والجزالة بل انتعشت فيه الروح الوثابة المتطورة وصفقت
فى سمائه الطيور المجنحة المفردة ورقصت على سطوره
الموسيقى بعنفها وهدوئها وأنغامها المتعانقة . .

ومجمل القول . لقد بلغ ديوان « أشواق الحياة » درجة
من السمو الفنى ما أغرانى أن أكشف عن وجهة نظرى فيه
ولعلنى بذلك أسهم فى امتاع القارئ ببعض أبيات من
شعره .

وأول ما يصادفنا فى هذا الديوان تلك القصائد

الوجدانية العديدة التى احتلت ما يقرب من نصفه وهى فى الحق قصائد فنية رائعة ولعل جمالها ينبع من صدق تجارب الشاعر ورقة احساسه .

لقد نزع الخفاجى أخيرا ذلك القناع الدائم وألقى به بعيدا عنه حتى يتمكن من استعادة ذكريات شبابه بما فيها من لوعة وأمل ووصال وفراق .

كل ذلك فى جرأة وحماس غريبين علينا فخرجت تلك القصائد عارمة ، هادرة ، مشبوبة تفيض جمالا وعدوبة .

وكنت أحب أن أقف أمام رائعة الديوان وهى قصيدة « أيام وأحلام » غير أن الناقد الكبير الأستاذ عبد العزيز شرف تكلم عنها ما فيه الكفاية فى مقدمة الديوان ولعلنى أستطيع فى مجال آخر أن أتكلم عن قصائده الوجدانية . « صدى الذكريات » و « شقاء الحب » و « صوفية الحب » . و « فلسفة الجمال » وغيرها حيث لم يترك الخفاجى صغيرة ولا كبيرة الا دونها شعرا . .

ولنستعرض بعد ذلك أجمل وأغلى ما فى الديوان وهى : القصائد الدينية السامية التى تتحلى بها المجموعة .

لقد ضمت كل المناسبات الدينية الجليلة ففى قصيدة « انسان القرآن » يقول :

اقرأ . . وتهتز السماء بقولها

وحى من الله العزيز الأكرم

ياليلة الوحي العظيم ، هن الرسالة

والرسول . . عن الكتاب تكلمى

ثم فى قصيدة « انسان الاسلام » :

عاش في الناس ثرياً بالتقى
ومشى فيهم بذكر عطر
مسلم فوق العلا جبهته
خاشع في عزة المنتصر
بين يمينه كتاب نير
يالآيات الكتاب النير
كان كالواحة في البيد يرى
كان كالظل بواد مقفر

ويتجه شاعرنا الى الهجرة حيث يقول في « موكب علوى »:
هجرة مثلت جهاد نبى
وأمين على الهدى مهدي
وبها كل عزة وجلال
برسول مكرم يعربى
هجرة كانت للرسالة نصرا
يالهذا النصر الجليل السنى
هجرة مزقت قناع الدياجى
وأعزت نفس الفقير الشقى

ويتوقف الشاعر قليلا وقد أحس أنه عاجز عن اهداء
هذه الهجرة المباركة حقها في البيان فيهدف لقلمه :
لا تقل شيئا .. كل ما قلته
دون علاها وحقها العلوى

انها الصفحة المضيئة فى
التاريخ تهدى الى الهدى كل حى
لا ورب الجلال انى عيى
وبيانى يا قوم جد عيى

★★★★★

وعلى « جبل عرفات » يناجى الشاعر أجمل ساعات
حياته :

عرفات يا أملا به الأيام
تخلو .. ومنه الوحي والالهام
عرفات .. أنت العطر يعبق والهدى
والمجد والأنغام والأحلام

يا شوق أيامى اليك وحبها
عام نودعه ويقبل عام
وتمر بالشاعر ذكريات عرفات ويشعر بالحنين الطاغى
الى العودة للمكان المقدس ويهتف وقد خيل اليه أن سفح
الجبل أمام ناظريه وقد ماج بالشذا والبشاشة كعادته
فيتساعل :

ووقفت أدمو والدموع تنوشنى
أحقيقة هى أم هى الأحلام
وأفقت من حلمى وبين جوانحى
من نار حبك والزمان ضرام
الأم يا عرفات فى حبي وتهيا
مى وأشواقى .. وكيف ألام

لا والذي سار الحجيح لبيته
ما فى هواه على المحب ملام

★★★★★

ولقد لفت نظرى فى ديوانه « أشواق الحياة » كثرة
الشكوى من الزمن والانسان وكان يخيّل الى دائما أن صاحبه
قد خلا الا قليلا من هموم الحياة أو بالأحرى رضى بحظه
منها .. فكثيرا ما أراه باسماء وقد سكن الى حكم الله
ايمانا وتقوى *

فلنستمع اليه فى قصيدة « سراب » ولنر كيف استهلها
بهذا البيت الموسيقى الرائع :

وى لأمسى ولأيامى وى
ولليلى ونهارى العبقرى

المنى * كل المنى قد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتى

وبقايا الحلم كانت ييدى
أين ما كان قريبا من ييدى

وسراب كاذب يخدعنى
كلما سرت ويعشى ناظرى

★★★★★

ان ديوان « أشواق الحياة » مغلف بالأسى ومرارة الحزن
والتبرم من الحياة ، ففي قصيدة « هموم الفكر » يثور
شاعرنا على أخلاق العصر :

بكيت ويضحك القدر ونمت وغيرنا سهروا
وقلت مناجيا نفسى لماذا كان لي بصر

لماذا كان لى عقل لماذا كان لى نظـر
لماذا منطق الأشياء مقلوب ومبتسر
لماذا عشت فى زمن جميع أموره عبـر
تراد ولا نريد ويسر كل حياتنا عسر
وقيل لبومها غـرد وقيل لتربها درر
لماذا رب كل الناس بالأوهام قد أسروا
لماذا رب كل الناس ليس تردهم نذر

★★★★★

وشعر الخفاجى فى ديوان « أشواق الحياة » يجمع الى
الامتع والافادة والتوجيه فقد تناول الكثير من الأغراض
الاجتماعية والموضوعات المتصلة بالوطنية .

وقد تمكن من التعبير عن حقائق دنياه فى مرونة
وحيوية فوفق فيه الى الابانة عما يجيش فى صدره من آمال
وآلام .

وهو شعر واقعى شامل صريح لا يمسرف الغموض
ولا الصور الضبابية التى تتحدى ذكاء القارئ .

وهو هنا بكل بساطة وسهولة يقول فى قصيدة « الوداع
الأخير » :

أو أنسى .. اننى لست أنسى
ماضيا أشرق فى الروح شمسا
عشت فيه ثم ولى وأمسى
كحديث خافت ضاع همسا
اركنى للصمت يا ذكرياتى

انت نور فى دجى أمسياتى
بين أحلام المنى الماضيات
كل شيء قد ر يا حياتى

ومن موضوعاته المنوعة المليئة بالتجارب الحية قصيدته
« أقتات السراب » وهى موجهة الى والده المتوفى فيقول :

مازلت أذكره هنا ٠٠٠ وكان ذكراه المنى
ولى كما ولى السحاب وكان شيخا مؤمنا
وبكيت فى فرح الشباب أبى الحنون ويتمنا
وتثير ذكراه الدموع وكم يجدد جرحنا
وأقول فى أسف فداؤك يا أبى ٠٠ ياليتنا ٠٠

ويتذكر والدته وتثير الذكرى شجونه وهو الانسان
المرهف الاحساس :

أماء : لا هم ولا حزن
مشواك دار المنتهى مدن
أنت التى عشت الحياة كريمة
ورمى بفقد شملنا الزمن
أماء كنت لى العنان جميعه
وبك الرضا والعطف والسكن
يا كل أحلامي وكل رؤاى ما
للعيش بعذك والمنى ثمن
كل الخلال تمثلت علوية
فيها وكل صفاتها حسن

• • وهكذا هي الأم مهما كبر الأبناء ستظل ذكرها عطرة
في أذهانهم وقلوبهم بقدر ما أعطت وبذلت من الحب
والتضحيات •

وبفتة يتذكر الشاعر ولده الوحيد فتتربع السكينة في
صدره ويتسرب العزاء ويمتلئ أملا بالحياة فيهتف :

مشرق اليمن والمنى والسعود
وسنا النور في ظلام وجودي
في وجود مكبل بقيود
وقيود بلا مدى أو حدود
وحياة يفزع الجن منها
من رؤى وجهها العبوس الشديد

بلى • • فقد أشرق الكون بميلاد « ماجد » وعانق والده
كل أمانى الحياة وزهو العمر • • • •

يا فخر يومي المنتظر	يا ضوء القمر
واحدة آمالي أنت	في متاهات السفر
وجئت كالمنى وكالنصر	أتى على قدر
كالشمس بعد الزمهرير	كالشذى عبر المطر
وصرت يا ماجد في	جيدى عقدا من زهر
واعشوشيت بك الحياة	وارتوى بك الثمر
واخضر عشنا وكان	العش مجذب الصور

ويهمس الأب في سمع وحيد به قصته كلها في أبيات
تفيض رقة وعذوبة ، وانه لشىء جميل حقا أن يعترف
الوالد لابنه بما قاسى قبل مولده ، وانه لشىء جميل حقا أن

يدعو له بكل ما كان يتمناه لنفسه من أمل في دنياه
فيقول :

دنيای یا ماجد کلها فصول من عبر
قطعتها بالصبر والعقبى لمن فيها صبر
واشتد بی العسر وضقت ضقت ذرعا بالغير
وعشت ، عشت في لظى جحيم عمرى المستعر
حتى أتيت كالضياء فى دجى عمرى سفر
فكنت متعة السنين بل ربيعها العطر
انسان عینی ورؤى الروح وبهجة البصر
كل المنى والحظ والغد المعطر النضر
وكل ما أحب من يمن وعز وظفر
وكل ما عجزت عن تحقيقه من الخير
أدعو بأن تكون لابنى فى العشى والبكر

★★★★★

ولقد حرصت حين بدأت الكتابة عن ديوان « أشواق
الحياة » على النظر اليه من جميع زواياه فى دقة واعتدال
رأى بعد قراءة واستيعاب »

لذلك لم أصب اهتمامى كله على الناحية الجمالية بل
تعديتها الى المضمون وقوة الأداء بجانب الموضوعية ، فالشاعر
الخفاجى يعد أحد أبناء مدرسة « أبوللو » التى لها خصائصها
ومقوماتها غير أنه أكثر ميلا الى الأقدمين ، ممسك بأوتار
الشعر فى أزهى عصوره من حيث قوة الصياغة وجزالة اللغة
ووضوح المعنى ومراعاة الأنماط المختلفة من تراثنا القيم .

ولذلك فليس هناك من خوف مطلقا أن يضيع الديوان

فى زحمة الكتب التى تملأ الحقل الأدبى دون أن يجد الناقد
البصير الذى يكشف عن قدره وقيمه *

فالدويان أولا وأخيرا يدافع عن نفسه ويشق فى وثوق
طريقه بلا حرج أو تردد ، يحدوه الصدق والايمان به ،
فشاعرنا لا يكتب غير ما يفيض به خاطره ووجدانه ، والدليل
هو تلك العاطفة المحتدمة التى تنبض فى كل ما يصادفنا من
قصائد *

ويعتز الشاعر بالأزهر الشريف ، الأزهر الذى هو صوت
مصر فى صدئ طلابه ، والناطق بكل حكمة وهداية ، فمن
الطبيعى أن يلهج بالثناء عليه حيث يقول :

فى كل ركن من جوانبك العلا
شمس تضىء وكوكب بك نير
حرم الكنانة قد حميت زمارها
ودفعت عنها ما يذل ويقهر
حجت اليك من القرى أحلامها
ومن البلاد شبابها المتخير
والدين لم ينشره الا فتية
نشأوا بروضك مونقا وتبختروا
أدى الأمانة من ذويك جماعة
ودعا بروحك منذر ومبشر
نصروا الفضيلة اذ أذاها عابث
نشروا الرسالة اذ طواها معشر
ومن النماذج التى أبدع فيها الشاعر حين وجه النصيح
لشباب الجيل فى قصيدة « الى الشباب المصرى » حيث قال :

شباب الحمى : مجد الحمى لا تذله
يد الأسد الضارى أو الطامع الوغد

أقيموا على الأحداث صفا موحدا
يرد ظباه الظالمين الى الغمـد

شباب الحمى • ذودوا كراما عن الحمى
ولا تهنوا فالذل أجدر بالعبد

أصيخوا لداعى المجد اما دعاكم
ولبوا نداء النيل فى صولة الأسد

وثاما بنى قومى فان اختلافنا
خسار ، واخلاصا على النحس والسعد

وبعد • فما زلت أقول : ان الخفاجى أديب كبير قبل
أن يكون شاعرا وقد استنزف أيامه فى مزاولة الأدب فى
أسلوبه النثرى مما أكسبه إتقانا وبراعة وأصالة ، فلما
زاول الشعر وتمرس جاء ديوانه « أشواق الحياة » وفيه من
شفافية الروح ما جعل قارئه يكاد يرى صاحبه من خلال
السطور •

ثم بعد ..

فان كان الشعر – كما يقول الخفاجى فى نهاية ديوانه
هو روح الشاعر ونبض قلبه وحديث وجدانه •

وان كان الشعر – كما يقول صاحب الديوان – هو
الخلد والأعماق والتراث الباقي لصاحبه ..

فهنيئاً لنا نحن القراء فقد ضم ديوان « أشواق الحياة »
أعز ما يملك وأغلى ما يقدم لنا الشاعر الكبير الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى ..

★★★★★

**الشاعر كمال النجمى فى ديوانه
الأنداء المحترقة**

يقولون : انه شاعر هادئ صامت خجول ..

أما أنا فبعد قراءتي مجموعته الشعرية « الأندام
المحترقة » .. أستطيع أن أقول : انه انسان فى أعماقه
ثورة .. ثورة كامنة .. ومع ما يسود الديوان من حب
مشبوب جارف ، بل ورغم هذا الحب الجارف - فهناك حزن
عميق يسرى فى كل بيت من قصائده وهو يعترف فيقول فى
قصيدة « أشواق » :

يا طائرا يتغنى فوق أيكته
غناء ذى حرقة فى الصلر ثكلان
من علم الطير حب الطير فاحترقت
به .. كحرقة انسان بانسان

وقد يكون الحب أحد أسباب هذا الطابع الحزين فى
شعر شاعرنا كمال النجمى فالحب عنده احتراق ، ولكنه
ليس السبب الوحيد .. فهناك عوامل عديدة تشابت
والتحمت وأدت بالشاعر الى هذه الثورة السجينة .

ثورة .. ؟ أجل وانها لثورة فى قلب فنان خجول صامت

رزين .. ثورة من نار تتأجج الى الأبد . ويترامى على
جانبيها صراع قاتل ..

وانها لمعركة يخوضها الشاعر بين حبه للخير والنور
والحرية ..

وبين ما يراه أمامه من عرق ودموع فى جانب وظلم
واستغلال فى الجانب الآخر

ويترامى أمامنا الشاعر وفى يده مشعله يحاول به أن
يعيد الى الحياة اشراقها الساحر ..

ولكن .. عبثا يستطيع ، وينتابه اليأس ، فيعود الى
نفسه لينكمش داخلها فلا يرى غير ذاته . وعند ذاك ..
تبدأ رحلة الكلمات .. ويمضى فى رحلته وهو يخوض
بحارها الواسعة ، فى ارادة عنيفة ، تكاد تقصف فى عنف
بكيانه وينتهى به الابحار الى شاطئ الذكريات حيث
الراحة ..

والذكريات عند شاعرنا تأخذ عليه كل حياته
فيستمرضها كتابا مفتوحا ، يقف أمامها وقفات طويلة ،
ممعنا فيها .. ساكبا أحاسيسه فى خيال شعري أخاذ وطاقة
عقلية ناضجة وعمل فنى ممتع .

وإذا كان الشعر مجموعة أحاسيس الحياة فهو عند
الشاعر الكبير كمال النجمى شعور عنيف بالتجربة التى مر
بها وانفعال نفسى أثارته الأحداث والأشخاص فانبعث
خاضعا لكل ما استوحاه مبرزاً فى قوة اللغة السليمة القوية .

فالشاعر أولا وأخيرا حريص كل الحرص على الاحتفاظ

بالقيم الفنية فى شعره ، دائب على تركيزها ، مجددا فيها
ومقويا روح الايمان بالمثل العليا والفضائل الكريمة .

والواقع ان صاحب ديوان « الأنداء المحترقة » جمع فى
شعره كل ألوان الجمال فى الشعر القديم من روعة الأسلوب
وبلاغة العبارة وسمو المعنى ، أخذنا من الجديد خصائصه
الخصبة وتصويره الغنى وشاعريته المصرية .

ولقد أغراني الديوان بمضمونه فشئت أن أكشف مدى
ما فيه من رقة الأثير ، وأنغام الغدير وأن أقنع بالعرض
القصير وان كان صاحب الديوان لا يقنع بالوصف العابر
بل يميل كل الميل الى الوقفة العميقة المتأنية فى كل قصائده،
رغم أنه لا يحاول فى حياته العادية أن يظهر نفسه أو يعلن
عن شعره أو يقف أمام الضوء فنتج عن ذلك أن سبقه فى
طريق الشهرة من هم أقل منه فنا وشاعرية .

وهكذا هى الحياة . .

فالشاعر الرقيق كمال النجمى من الشعراء الموهوبين على
الرغم من قلة انتاجه وديوانه هذا الوحيد هو الذى يمثل
شاعريته وما يختلج فى فؤاده من آلام وآمال ، وما كان يتمنى
من أحلام تتحقق . . وفى الديوان قصائد كثيرة من الشعر
العاطفى وهنا نجد أسلوبا غنائيا لم يكتشفه ملحن بعد رغم
ما يتمتع به شعره من جرس عذب وموسيقى منغومة تؤهله
للغناء .

وهى قصائد حب نبيل وهو عذرى طاهر . . وتقع
بمنزلة الشاعر الى مجال الفن الراقى .

وفى رأى أن هذه القصائد الوجدانية هى أكثر شعر
الشاعر روعة وسحرا وجمالا .

ولنستمع اليه فى قصيدة « روحانية حائرة » وتعد من

أكثر القصائد تعريفا بروح الشاعر وما انطبعت عليه من
نبيل وصفاء :

أليوم أبصرت السبيل أمامي
وفرقت بين الحسن والأوهام
أخلصت في الحب الطهور فلم أصب
معنى من الحب الطهور السامي
ونشدت روحا في الغرام فلم أجد
الاهوى الأجسام للأجسام
فسترت روحانيتي وحفظتها
ذكرى حبيب ذاهب وغرام

★★★★★

وهي في حبه قلب أبي كتوم ، يخشى على فتاته أن يخدشها
النسيم الجارح ، أليس هو القائل في قصيدته :
ولقد حفظت هواك حين حملته
وكظمت نار الوجد بين ضلوعي
وكتمت حتى لو بكيت لم أدت
عيناي أنني قد سكبت دموعي
تشبيه وأيم الحق جميل بديع وبیت من الشعر لا أظن
انه قد طرق من قبل .

والشاعر كمال النجمي صاحب ديوان «الأنداء المحترقة»
هذا الفنان المنطوي على نفسه ، الحامل براكين حب واعجاب
للجمال الأنثوي ، نجده يفيض نشوة حين يصف حبيبته عن
خبرة ومعرفة فيقول في قصيدة « معاني الغرام » :

قيل من تهوى فقد خلدها
 فى بيان ذى جمال وجلال
 ان أصفها فـزال أغيد
 لفتاة ٠٠ أو فتاة فى غزال
 وعيون ذات نور ٠٠٠ وفم
 ذو عبير وقوام ذو اعتدال
 وحديث تسكر الراح به
 هو ربي حين أصدى وثمانى
 هى أحلام فؤاد عاشق
 شاعر قد كان يهفو للجمال ٠٠

★★★★★

وأما فى قصيدة « أنت » فقد أبدع حين قال :
 أنت حبي من قبل أن يعرف
 الحب فؤادى ، وأنت حلم حياتى
 والذى كان من خفوق ومن شهد
 وشعر يفيض بالحسرات
 لم يكن - حين كان - الا حنيناً
 لك عنلى يطوى بى السنوات
 والتقيناً • قالف الحب مناً
 خلجات الضمير والخطرات
 واحتوانا الهوى فكنت أنا
 أنت كانى جمعت ذاتى بذاتى

★★★★★

ويخشى الشاعر أن تظن حبيبته أنه أحب قبلها وهو
لا يعترف بحب أحس به قبل أن يراها فيقول :

لا تقولى أحب قبلى فـانى
كنت قبل الضياء فى الظلمات

انت من قبل فى الغرام ومن
بعد .. وأنت الماضى وأنت الآتى

★★★★★

وعندما يتحدث الشاعر عن نفسه نجده يتعرض لحياته
فى واقعية صادقة ، يدفعها تحت أنظار القارئ بالصورة التى
يراها مطابقة لمزاجه الحزين المتشائم :

أنا روض صوحت أزهاره
وشهاب ما بدا حتى خبا

وفى قصيدة « آلام شاعر » يصف الشاعر حياته فى ايجاز
وفى أبيات ثلاثة فيكشف عما يحس من شجن :

غنيت حتى قطعت أوتارى
ومضت كأصداء الدجى أعارى

وأضعت وحي عواطفى فى معشر
قدت عواطفهم من الأحجار

وأضأت كالمصباح أبذل جامدا
نورى .. ولى دون البرية نارى ..

★★★★★

والآن نستطيع أن نقول ان ديوان « الأنداء المحترقة »
للشاعر كمال النجمى يحوى كل خصائص الشعر الجيد ونحن
نعرف أن خصائص ومقومات الشعر تكمن فى :

أولاً : حرية النفس . . وقد استطاع شاعرنا أن يكتب
ما يريد دون حرج أو تردد .

ثانياً : البيان . . والبيان هو المقدرة على التعبير
عما يخالج الشاعر من أحاسيس في مواقف التجريبية .
كالعناية باللفظة . . والتأكد من معناها وموضعها ، والالمام
التام بما تحويه من تأثير ، والدقة في اختيارها .
وأهم ما يجب الحرص عليه . .

وهو ضرورة لا معدى عن الأخذ بها ولا سبيل الى تجاوزها
فالكلمة التي لا يفهمها القارئ إنما هي كلمة « ميتة » كما
يقول المفكر « بول برونتون » .

وهذه العقبة أدركها شاعر « الأنداء المحترقة » فجعلنا
نعرف مفاهيمه الشخصية والعامة لمعانى الحياة .

ثالثاً : الصدق . وهذا الصدق ظاهر جيداً في كل بيت
من أبيات المجموعة بل في كل حركة أو كلمة أو إشارة . .

ونماذج الابداع كثيرة في هذا الديوان فصاحبه شاعر
بليغ الأسلوب ، رصين الأداء ، مهما تغير مضمون القصيدة
وطريقة نظمها – جديدة كانت أو قديمة .

فالماضى والحاضر سيان في قيمة الأثر الفني على مرور
الأيام فليس الشعر ثوباً يبلى ويخلع .

وعلى ذلك يكون الشعر الجيد لازمان له عند الشاعر .

والذي يريد أن يقرأ حياة الشاعر كمال النجمي بكسل
ما فيها من عوالم قد تعد غامضة يجب أن يقرأ هذا الديوان .
فلننظر مثلاً اليه كيف يخاطب ابنته ليلى يوم مولدها :
انه يحس نفسه خفيفاً مثلها . . لقد نفّس مولدها عنه

عبء الوقار الذى يحمله على كتفيه ارثا من أرض الصعيد
الجادة .

ومع مولد الابنة نسى الوالد أحزانه تلك الأشياء التى
تلازمه كظله :

ليلى جاءت بعد طول انتظار
لؤلؤة بين الليالى الصغار
تبدأ فوق الورد أيامها

ولدت فيها يوم ميلادها
فصرت طفلا بين صحبى الكبار
لا أحفل الدنيا وآلامها

ليلى ردت لى مراح الصبا
وخففت عنى عب الوقار
كاننى أحلم أحلامها

★★★★★

ولم ينس الشاعر أهله وأصدقاءه الراحليخ فرثاهم جميعا
فى شعر صادق باك فى قصيدة « أحزان » وهى رثاء الى عمه
وقصيدة « شاعر » فى ذكرى على محمود طه وفى قصيدة
أحمد محرم وغيرها وكان نصيب « أسمهان » المطربة الكثير
من شعر ، ومنها يقول ويحكى كيف سقطت سيارتها فى حفرة
لمسيل غامر وكيف أخرجوها بلا حياة ..

أسمهان قصة ان تليت
ملأت قلب الليالى عجا
قد بكيناها هزارا هاما
كان ان غنى بكينا طربا

طلعت من دارها باكرة
 ما درت أى قضاء كتبها
 تنشد البحر لتنسى برهة
 معنا جرن عليها حقا
 وسعت جلالته ضاحكة
 مثلما تضحك أزهار الربى
 تنهب السبل على سيارة
 صنعت نجسا على من ركبها
 وقف الفن حزيننا والهيا
 يذرف الأدمع حتى نضبها
 نكب الفن برزء فادح
 جاوز النيل فعم العربها

★★★★★

أما قصيدة « أبى » وقد توفى والشاعر بعيد عن قريته
 « أولاد نجم بهجوره » حيث كان يدرس فى ثانوية قنا - يقول
 فيها :

دنيا تمام أمورها نقصان
 نفنى فلا دمع ولا أحزان
 آمنت بعد أبى ولم أك جاحدا
 أن الحياة وما بها بهتان
 لما نعتت الى المدائن والقرى
 وجمت « قنا » وترنحت « أسوان »
 وذهبت تبكيك المروءة والعلى
 وينوح خلف سريرك الاحسان

★★★★★

انها كلمات حكيمة غالية تثرى الشعر وتبعث فيه حرارة
العاطفة وعراقة الألفاظ .

وهناك أيضا قصيدة « يقظة النيل » وقد فازت بالجائزة
الأولى فى مسابقة دار المعارف .

وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من أنطون الجميل وعباس
العقاد وعلى الجارم و خليل مطران - أى من رواد الأدب
الفضائل .

والقصيدة ذات نفس طويل « يحترى » قل أن نجد
نظيرا لها بين أنفاس شعراء هذا العصر كما قال الشاعر
الراحل صالح جودت فى مقدمة هذا الديوان .

وبعد . ان الشاعر الرقيق كمال النجمى بديوانه هذا
« الأنداء المحترقة » يمثل صورة انسان فنان أصيل ، وعلى
ضوء مثاليته يهدينا الصورة التى يجب أن تكون عليها حياة
كل انسان .

فالشاعر تواق الى حياة مثلى ، نزاع الى الحرية ، متبرم
بكل ما يحد من انطلاقة النور والحب والخير فى عالم واقع
تحت رزح العبودية المادية .

ولعل أول ظاهرة فى ديوانه هذا هى هذا التنقل المستمر
بين مدارس الشعر العديدة وهذا التطور الواضح بين
المذاهب الشعرية فى كل حقبة من عمر الشاعر . .

فمن واقعية جادة الى رومانسية مسرفة فى العاطفة . .
وفى كل نقلة نستمتع الى شعر متقن جيد ناضج . .
وأخيرا . .

ان أغانى هذا الديوان تأتى عذبة ممتعة . .

وانى لسعيدة أن قدمت للقارئ الكريم شعرا يمتاز
بجدة المعاني وابتكارها وتعدد خيلتها وانسجامها
الموسيقى * *

سعيدة أن قدمت شاعرا مع رواد شعراء مصر ، يؤمن
بالصدق والاخلاص في العمل ، في طلاقة فنية وتعبير
رائع *

دكتور عبد العزيز شرف في ديوانه
الى نبع الحب

للمرة الثانية أقف حائرة أمام ديوان جديد آخر ..

وكما وقفت بالأمس أمام « أشواق حائرة » المجموعة الشعرية للدكتور عبد المنعم خفاجي أقف اليوم أمام ديوان « الى نبع الحب » للدكتور عبد العزيز شرف لأردد نفس السؤال ..

أين كان شاعرنا يخفى هذا الشعر الجيد عن أعين القراء ؟ .. ؟

ولماذا تأخر نشره حتى اليوم ؟ .. ؟

فالديوان فى مجموعه يمثل شاعرية صادقة العواطف والوجدان .. انه بالاختصار حياة انسان خلقت معه موهبة الشاعر واحساس الفنان ..

والديوان حصيلة فترة من العمر ليست بالقصيرة ولذلك نرى فى قصائده رقة وعنف ووضوحا وغموضا وميلا الى الخيال وهروبا الى الواقع وكلها مشاعر طبيعية مع اختلاف مراحل الزمن والأحداث ..

وشعر الديوان ينقسم الى قسمين شعر حر وشعر حديث فالحر ما كان بلا قافية وقد لجأ صاحبه الى زيادة أو انقاص

التفعيلة حتى صارت واحدة فى بعض الأبيات وهذا ما جرى عليه كثير من شعرائنا المعاصرين وميزته ابعاد الملل عن قارئه وهو لا يضير الشعر طالما ان هناك ايقاعات صاعدة أو هابطة ، قوية أو خافتة تحاكي الموسيقى التصويرية وتبرز أخيرا الأفكار والمواقف حسب تباينها وانسجامها * *

مثال ذلك قصيدة « ايزيس تنهض من نومها » والشاعر يعبر عن مصر فى ندائه ايزيس *

والشئ المحقق هو ان الشاعر أحدث حدثا أدبيا سنحفظه له نحن جميعا بهذه القصيدة الرائعة وما فيها من مرونة وسعة خيال وتعبير صائب عن شتى جوانب النفس *

وسأقتطف من روضتها باقة صغيرة من الزهور لعل القارئ يدرك بها مدى قيمة هذه القصيدة * * يقول الشاعر موجها النداء الى وطنه مصر *

من عطرك المسحور يا حبيبتي
تخضوض المروج فى الضفاف
أبحث عنك فى معابد الربيع
فى عالم ممزق الأوصال والاهاب
محاصرا *
يحوطنى الارهاب *
وأنت يا ايزيس يا مبعوثة السماء
ترتلين آية الوداع

★★★★★

ويبدأ الشاعر مقطوعة أخرى من نفس القصيدة وهنا يتغير البحر فيستريح السمع ويتضح الوجدان ويقبل القارئ على تكملة القصيدة فى شوق وغبطة * *

يا أجمل أغنية في العالم
في القرن العشرين
إيزيس يا إيزيس
يأشوقا أبدى الأشجان
كادت تطويني نيران البركان
وقرأت كتاب الموت
وعبرت بحار الليل
مزقت
ظل الخيط الأزرق
في صمت مطبق
رقلت تراتيل النصر
غنيتك في فكر العصر
ورأيتك في روح الشعر
سميتك « مصر »

★★★★★

وللشاعر في بعض الأحيان كلمات تفلت منه هاربة الى
فوق ففي قصيدة « سياج » :

لأنى حزين
دموعي تغوص بجوف السنين
وأصنع حولي سياجا
وأبقى هناك بقيد السجين
فسجنى اختياري ..

★★★★★

وتتغير الجملة ولكن الى نفس المعنى في اصرار :
وأنسى بأنى سجين

وأنى كنت أريد انطلاقا
لأنى بسجنى أعيش انعتاقا

★★★★★

وتجذبه ايزيس فى كل كلمة واطر من ديوانه وفى كل
خاطرة من أفكاره وتحنو عليه ايزيس مصر بحبها الوفى ..
فيناديه اينما يسير وكيفما يعيش وحيثما يكتب ، ففى
قصيدة « الكنانة الخضراء » :

كنانتى الخضراء
تمد رأسها الى السماء
وتذرف الدموع فى فرعين
يحملان حلم أمسها الى العلاء
سننكر الذات
لتجعل الذوات فى البناء
ما قيمة الحياة دونما غناء
ما قيمة الخلود دونما بناء
يا مصر يا حبيبتى يا وطن الأوطان
يا مصر يا عليّة المكان
يا قمة التاريخ للانسان
لن يهزم الانسان ..

★★★★★

وفى شعره الحر يعتمد الشاعر الالغاز والرمز الخفى ..
ولست أنكر انى استعنت أحيانا بالتأمل والتمعن فى
تبيان ما وراء هذا البيت أو ذاك ولا ستكون دلالة القصيدة
حتى يتسنى تفسيرها أو تسليط الضوء عليها أو تحليل
عناصرها بقدر المستطاع ..

فلكى أحدد القيمة الحقيقية لهذا العمل الأدبي الجيد
وما ينطوى عليه من هدف وما يعتمد عليه من مضمون كان
لا بد من فهم وادراك ومن الايفال فى عقل الشاعر صاحب
هذا الديوان .

ومن شعره الحر قصيدته « جدار الصمت » والقصيدة من
روائع شعره تجربة وخيالاً وأداء وحركة وموسيقى . .

فهى ثورة حقاً . . ثورة على كل ما هو يجب أن يتحطم
وأن يحرق ، ولأن الأمل كله فى المستقبل فلن يهدأ الشاعر
لأنه فى غد . . سيبدأ :

بقلبي ثورة . . . ثورة
تريد اليوم أن تحطم
وأن تهدم
لتبنى دار أحلام المنى النضرة
وقلبي اليوم عذبه جدار الصمت
سأهدمه وأترك ثم بركانا
يذيب الفكرة النخرة
ليحرقها هنا شوق على الأيام لا يهدأ
ولن يهدأ
لأنى فى غد أبدأ . . .

★★★★★

هل كانت هذه القصيدة وليدة انفعالات خسارية أثرت
فى نفس الشاعر فكشف بها عما شهده من نقص حوله ؟
أم هى عوامل داخلية خرجت صدًى لما اعتمل فى نفسه من
قلق وحيرة ؟

على كل فمهما كان الحافظ الذى أثار الشاعر ودفعه الى
نظمها فهي دليل على انها صادرة عن صدق التجربة . .

ومثلها قصيدة « بكائية » حيث يقول الشاعر :

من فوق الأعراف أسجل هذا السطر

كى أترك شيئاً يهمس فى عين الصقر

فليبك الصقر

ما عاد بكاء الصقر يشير الشفقة

قد أضحت فى ناب الجمر

سأسجل هذا السطر

كى أمنع عن روى غول السر

فالغول كبير يلتهم الكلمة

ويميت الفكر . . .

★★★★★

وللشاعر الدكتور عبد العزيز شرف العديد من الكلمات
التي أحبها فأكثر من ذكرها فى الديوان .

الثور ، نفحة نور ، نهير نور ، قطرة نور ، ومضة نور
وهى ان دلت على شىء فعلى عنوبة ألفاظ الشاعر وصفاء
روحه وتطلعه الى مزيد من النور يغمر الكون . والى كثير من
الأمم الباسم فى مستقبل زاهر يشمل أرضه ووطنه .

وقبل أن نأتى الى الشعر المقفى نستطيع أن نقول ان
صاحب ديوان « الى نبع الحب » قد أبرز قدرته فى الشعر الحر
على عرض الصور الكاملة وعلى اختيار الألوان التصويرية
التي تبهر الرؤية وبذلك منح شعره عناصره الجمالية من
وحدة وتدرج وتناسب وإيقاع .

ومن حسن حظ هذا الشعر الحر أن تتاح له أحياناً فئة
مشقة واعية متزنة من الشعراء أمثال صاحب الديوان تعد

دعائم المدرسة الجديدة فى الشعر المعاصر ، فهى التى تسدد
خطى الشباب الجامح وترسم له الطريق السوى فى الشعر
وتطلعه بفننها الأصيل على أجمل ما فى الشعر الحر من مشاعر
انسانية لأدق نزعات النفس وتحثه على النهوض بفننه ..
ويلفت النظر أن صاحب الديوان رغم استخدامه الشعر الحر
الذى هو أصلا مسرح الواقعية البحتة بما فيها من محاولات
اصلاح وتجديد وثورة وتحطيم أغلال ، نجده رغم ذلك ينتمى
فى كثير من الأحيان بقصائده الى المذهب الرومانسى بما فيه
من تهاويم الخيال لأصحاب المشاعر المرهفة ، المنصرفين عن
عالمهم الواقعى الى عالم المثل العليا ودنيا الأحزان والأحلام
والى ينابيع الحب والنور والعبير والجمال .

ولنأت بعد ذلك الى الشعر المقفى فى ديوان الى نبع
الحب » .

أولا : ان الماضى بشعره المنغوم عزيز على نفس الشاعر
تؤنسه أطياقه فيميل اليه لينتخب منه ما يلائم ذوقه ويعيش
فى أجوائه ويفيض عليه من روحه الوثابة ما يكسب الشعر
اشراقا وخصبا ..

وصدق التجربة واضح جلى فى هذه المجموعة الشعرية
ودليل ذلك هذا الانفعال النفسى الذى تثيره الأحداث فى
شاعرنا فيندمج فى عالم الرؤى والأحلام مهما كان هذا العالم
غريبا ..

ولنستمع اليه وهو يصف حياته فى قصيدة « شبوح
الحقيقة » :

عشت الحياة قصيدة قمراء تنضح بالمشاعر
وتفيض من روح الجمال لكل فنان وشاعر
وتذيب سحر الكون حبا ليس يفنيه مكابر

يحيا ليماً كوننا نورا يضيء لكل ثائر
ويظهر الانسان من حزن قديم فى الضمائر

واذا انتقلنا بعد ذلك الى قصيدة « مازلت يا وطنى
النهار » نجد أن القافية أضحت عند الشاعر ذات قيمة
جمالية كبيرة يزهو بها ويتلاعب فى سهولة ويسر . .

تتوسد الصدر الحنون ، تنام فى الجفن الأمين
وعلى جناح الغصب تسبح فى بحيرات السنين
وهناك فى المرسى تغنى أغنيات لا تلين
نحيا على أمل الربيع - الحلم - فى الفجر الجين
لكنكم لا تعلمون
ولأنكم تتساءلون

والقصيدة ترمز الى أعداء الدين والعقيدة وكيف أرادوا
لنا الهزيمة والانكسار فهم مزقوا فينا التمنى تحت أقسام
الغبار .

لكننا استطعنا أن نتحرر من زيفهم ، زيف هؤلاء الصحاب
الذئاب :

أن يحلم الانسان بالنور المقدس فى الكتاب
فهو «المخرف» - عند ذاك « الذئب لا يرضى الصحاب
لكننا يا أيها الأصحاب مزقنا السراب
انا نسجنه هنا كفن الثعالب والذئاب
نحيا على دين السماء ، نعلم الأرض اليباب
لكنهم يتساءلون
ولأنهم لا يعملون

سنظل صناع الحياة - النور ، فى الفجر اليقين
مصر العقيدة - وحدها - فيها نموت ولا نخون . .

وهكذا نرى الشاعر وقد استخدم الحدث في طلاقة وجعل السياق الشعري يسير سيرا دراميا أصيلا فخرجت علينا القصائد ثابتة في بنائها واتقائها الفني ملتفة في وحدة قوية متماسكة ، مما جعل الشاعر والناقد الكبير الدكتور كمال اسماعيل يتساءل بأسلوبه الثرى القيم فى مقدمة ديوان « الى نبع الحب » عن صاحبه دكتور عبد العزيز شرف :

« هل مشى به قلبه حثيثا الى اللفظة المتقبلة لأوجه كثيرة من الأزمنة والتأويلات

هل عرف النظام والايقاع من حيث انهما القيمة الحقيقية للشعر ؟

وهل السياق لديه مرصوف ناعم حريرى الملمس ؟

ويعود فيقول : ان المقالات النثرية لديه فى جلابيبيها المتخيلة تقول نعم وان منها ما يكتسب سمة الشعر . . » .

أجل . . لقد أحس شاعرنا بالكلمة وأدرك سرها ومدى تأثيرها فوشحها بمعان جديدة غير المعانى التى تحملها الألفاظ وخرجت علينا فى انطلاقة خيال وتحرر فكر ، وسعة أفق ، تحمل فى طياتها فلسفة حبيبة الى النفس تصل الى الروح قبل السمع وسط تجارب مختلفة من أحزان ومسررات .

هذا هو ديوان «الى نبع الحب» للشاعر الدكتور عبد العزيز شرف يسعدنى أن أقدمه الى القارئ حتى يقرأه فى خلوة واستمتاع . فمهما طال العرض فلن يحمل صورة كاملة لديوان من الشعر يعد صاحبه من رواد الجيل فى أدبه وخلقه وواسع علمه وشاعريته . .

محمد عبد الرحمن صان الدين في ديوانه
أعاصير وأنسام

فى بادىء الأمر ، أستطيع أن أقول ان ميزة هذه المجموعة الشعرية التى بين يدى هى فى كونها مؤمنة بالكلمة الخلاقة ، والكلمة الطيبة تؤتى أكلها باذن ربها تعالى كل حين ..

هذا هو ديوان الشاعر الصوفى الوجدانى الفيلسوف صان الدين الذى يتمسك بترائه الفنى مع البساطة والسهولة فى التعبير ..

وكيف نتحدث ببساطة عن ديوان يحمل فى طياته الأعاصير الغاضبة بينما يسرى فيه الايمان كأنسام ملأى بالدفع والأمن والسلام ؟

هى اذن مجموعة شعرية متنوعة المضمون ، متحدة المصدر وكأنها ألوان طيف يعكسها لوح من زجاج ..

هى قصائد مختلفة المضمون تناول فيها الشاعر الكثير من الأغراض الاجتماعية بنظرة فاحصة ناقدة واستخدم فيها شعره أحسن استخدام فى الدفاع عن الانسانية المعذبة .. بيد أن كل هذه القصائد المنوعة مصدرها كما قلت هو الايمان كالنهر فى طريقه يروى مختلف السهول والأودية ..

أجل • أروع وأغلى ما فى هذه المجموعة من القصائد
هى الدينية لا شك •

والحق أقول ان هذا الديوان بطبعه ونشره وتوزيعه
سوف يؤدى دوره المنشود فى مرحلة تاريخية حرجة • •

فان العناية بالأجيال الجديدة الحاضرة تحتاج الى تعاون
وتدارس وتقويم ، ولكن كل ذلك على شكل مائدة مليئة
بأنواع الفاكهة والثمار •

لقد قطع الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين شوطا
طويلا فى ميدان الشعر ، فأصبحت لديه القدرة على التعبير
كما تميز بسلامة المعنى •

وان جانبا كبيرا من قوة هذه التجارب الشعرية يبدو
ضرورة تربط ما بين الدين والحياة •

ولقد خرج الشاعر مرارا من دنيا المادة الى دنيا الروح • •
ومن ثم فسوف يسهم هذا الديوان « أعاصير وانسام » فى
ترديد صوت الاسلام •

سوف يكشف للشباب أبعاد الحياة ويرسم لهم منطلقا
تأمن فيه خطأهم من عثرات الوهم والضلال •

اذن من جذور الايمان تغذى هذا الديوان ، ومن رحيقه
الشهى نمت أشعاره وتفتحت •

وليس معنى هذه القصائد الدينية أن يكون كل تعبير
عداها متخلفا أو رجعيا ، فليس للشعر أن يتحول منبرا خطابيا
للدين أيا كانت قوة هذا الشعر •

فقد يكون الدين أيضا فى مناجاة عصفور حزين أو فى
لمسة حنان لطفل يتيم أو يكون كفاحا جادا من أجل حماية
الوطن أو ابتسامة مشرقة فى وجه انسان بائس •

ومهما كان الأمر ، فان هذا الديوان يعتبر احدى الظواهر
الأدبية التي تعكس معانى الحياة ، بما فيها من مثل وقيم *
انه مرحلة واثبة متواثبة من أحاسيس ووجدان شاعر
كبير مختلف وراء الأضواء *

مرحلة من تفكيره الانسانى ومن تعبيره الفنى ، وهو
طاقة عارمة قيمتها فى كونها تدرى أين اتجاهها وتقدر معنى
انطلاقها الذاتية الخالصة *

ولقد نجح الشاعر فى بعض قصائده نجاحا بعيدا فى نقل
التجربة وعرضها فى صياغة متقنة جيدة *

ورغم حرص الشاعر على القافية الواحدة فلم تحرم
قصائده من التدفق والانسياب * وقد حرص أيضا على
ألا يتجه الى التعابير الرمزية الغامضة التى قد لا تساعد على
إبراز مضمون أو بلورة معنى * فلم يستملها الا للتحلية
أو لتغذية الصورة وتطويرها وتنميتها وليكثر من وهج المعنى
الذى يريد أن ينقله الى وجدان القارئ *

ولكم يسعدنى أن أقدم هذا الديوان الى القارئ الكريم
فقد رأيت فيه ضياء يستنير به الطارق باب الشعر فى وقت
نبذ البمض من الشعراء باسم التحرر حيناً والتطور أحيانا
كل نظام وترتيب وقاعدة لشعرنا العربى الأصيل * وقطعوا
بذلك أسباب الاتصال بالقارئ فى وقت ظنوا فيه أنهم قد
فرضوا عليه هذا المخلوق المشوه *

أجل * يسعدنى أن أعرض هذا الديوان فقد أحسست انى
أمام شاعر يمسك بزمام الشعر الى حيث يمضى الى غايته * *
وسرنى أيضا أن أتتبع بحور شعره فرأيتة يميل الى البعض
فيكثر منها شأن كل شاعر صادق *

وليس من شك فى أن ديوان « أعاصير وأنسام » يحمل
من اسمه المعنى الكبير ففيه الثورة وفيه اللين وفيه العنف
وفيه التسامح .

وقبل كل ذلك فيه صدق التجربة . .

انه شعر انسان قوى كل القوة في تفهمه للدين ، ضعيف
كل الضعف أمام القدرة الالهية .

فهى اذن مرحلة نضج كامل وتوافر فى الموهبة .

ولما كان شاعرنا مرهفا شديدا الحساسية لذلك نراه نادرا
ما يختلس من دنياه ابتسامة انسان متفائل رغم قوة ايمانه
بقضاء الله سبحانه .

فاذا ابتسم فى قلبه دموع واذا طرق موضوعا طريفا
اختلفت عليه الجدية وسبقته الى التأمل والتروى والتفكير
الفلسفى العميق .

ولذلك يشيع دائما بين السطور وميض خاطف من الألم
والمرارة . حتى ليقف به ذلك الحزن البادى عن استيعاب
مفاتيح الوجود ، وجمال الطبيعة فيخيل اليه أن كل شيء يحمل
مثله أعباء الحياة وأن الطيور حزينة كفت عن الغناء لفساد
العالم وما فيه من موبقات . ولنستمع اليه فى قصيدة
« صمت الطيور » يسألها السبب :

لم لا تغنى يا طيور	لم لا تطيرى فى البكور
انى أراك قد انطويت	فلا رفيق ولا ظهور
وركنت للصمت الحزين	وأنة القلب الحسير
انى عهدتك تصدحين	بكل ألوان السرور
وترفرفين على الخمائل	والجداول والجسور

وتغازلين مع الصبح البكر فتان الزهور
وتبادلين الشمس في سبجاتها كأس الجهور
فاذا احتواك العش نمت كنومة الطفل الغرير
ماذا دهاك فصرت دامية المدامع والشعور

فاذا أعدنا قراءة هذه الأبيات السابقة لم نجد فى أى
بيت فيها قافية غريبة عليه ولم نعثر فى أى بيت فيها على
جملة دخيلة .

ان صاحبها يحرك مشاعرنا متنقلا بنا من معنى الى
معنى فى خفة ويسر حتى يصل الى جواب الطيور :

يا غافلا عما استجد وذاهلا عما يدور
الروض صوح أيكه والماء غاض من الغدير
والجو قد ملكته أسراب الجوارح والصقور
فلجات ألتمس السكينة والأمان .. الى القبور
وقنعت فى عيى بطل شاحب بين الصخور
حتى يوافيني الحمام وألفظ النفس الأخير

★★★★★

وهكذا كمادته دائما يعمق الشاعر مدلول قصيدته ،
ويضيف الى المعانى التى يريد لها أشياء أخرى ذات قيمة
معنوية كبيرة .

وفى مرحلة من عمر شاعرنا نراه كما يقول وقد ثار
على الحياة ثار على دنياه بما فيها من مأسى وآلام وما تحوى
من غدر ونفاق فيمزق فى عتف قلبه حين يمزق أشعاره
المدونة مقسما ألا ينظم الشعر بعد يومه ذاك .

ولكن .. تمر الأعوام ويشعر بالفراغ ، يشعر

بالضياح ، يشعر بتفاهة العيش بغير شعر ، ان الحياة
ثقيلة الأعباء وكيف يحياها ان لم يغن الروح على شعاع
الرجاء .

ويتساءل كيف يعيش بلا خيال يلون ليلاليه الطسوال
وأيامه الجرداء ؟ كيف يستاف بواسم الزهر دون أن يقتحم
فى جرأة روضه اليانع ليرطب روحه بالأنداء . كيف
يتلقى روعة الجمال دون تعبير ؟ .

ويمسك بالقلم . . أخيرا . ثم يبدأ من جديد رحلة
الأنغام وينظم قصيدة « سأشدو » :

أَوْفصح أم أموت بما أعانى
وأَمْضى بين تيار الزمان
وفى قلبى أناشيد عذاب
وفى الوجدان أ بكر المعانى
وأطمر تحت أنقاض الليالى
عديم الذكر مجهول المكان
كأنى لم أكن يوما سويا
ولم أخطر بهاتيكَ المفانى
أسكت يا رفاقى أم أغنى
على الدنيا بأعذب ما شجاني
والقصيدة طويلة يلخص الشاعر أبياتها فى هذا البيت
الأخير :

أنا فى دوحة الدنيا هـزار
وهل يحيا الهزار بلا أغان . . ؟
أما فى قصيدة « أزف الرحيل » فالشاعر يأمر نفسه

باخراج ما بها من كنوز ونغم قبل أن يخفق ضوء السراج
وترتفع خطى شمسها الفاربة وينتهى العمر :

أعنى أيها الجسم العليل أعنى أيها الفكر الكليل
وكن طوع الأنامل مستجيباً لفكرى أيها القلم الكسول
لأخرج ما بلقى من كنوز وأنغام • فقد أذف الرحيل

ولقد يسأل القارئ لماذا كل هذا الحزن والشجن في
قصائد الشاعر فأجيب : لولاهما « الحزن والشجن » ما كان
اليوم هناك شاعر يدعى محمد عبد الرحمن صان الدين •
فمرحى بهما •

نقد تأثر الشاعر بالظروف المحيطة به وبالأسباب التي
تصله بالحياة فكان أن بدا على شعره احساس الغربة
والاغتراب احساس القلق واليأس • وفي اعتقادي انها
شواهد قوية على شاعريته العاجزة عن اخفاء الألم والتبسم
في وجه الأحداث •

واذا أردنا أن نعرف شيئاً عن أخلاق شاعرنا يكفي أن
نقرأ هذين البيتين من قصيدة « الحارس اليقظان » :

رقيب ضامن ذاتي لا يحور
وقاض لا يميل ولا يجور

وسلطان تحكم في كياني
بقسطاط يقال له « الضمير »

ومع روائع شعره قصيدة « حلم شاعر » يتمنى فيها أن
يعيش في الريف بعيداً عن المدينة ويصف كيف ستكون
حياته :

يا حبذا العيش الوديعة بواحة
شجراء قد ناءت عن العمران

فى عزلة ما شاهدتها أعين
 أبدا ولا خطرت بها قدمان
 وتردد الأطياف فى أفنانها
 لحن الصفاء فينتشى وجدانى
 وأظل يومى هائلا متنقلا
 ما بين ظل وارف وأغان
 حتى اذا ولج النهار بغمده
 وغزت جيوش الليل كل مكان
 آوى الى كوخى ويئدا وادعا
 فيضمنى بترفق وحنان
 ثم ينهى الشاعر قصيدته كمادته بالموت حيث يطفىء
 الردى سراج الشاعر وتحوك الأشجار من أوراقها كفنا له
 ويهتف العابرون :

والكائنات هناك تهتف : ههنا
 مشوى غريب من بنى الانسان

والقصيدة فيها من الحرارة والتصوير الصادق وعمق
 المعنى ما يجعلنا نتوقف أمامها لنستوعب جمالها وربما
 أحببتها بالذات لأنها تذكرنى بقصيدتى « الجنة العذراء »
 وهى بنفس المعنى تقريبا مع اختلاف الأسلوب ومنها أقول :

لو جاء دهرى لاستكنت سعيدة
 فى قرية مجهولة الأسماء
 ساعيش نبت الشمس فى أحضانها
 أقضى البقية لى مع البسطاء

كم أشتهى عند الظهيرة جلسة
 فى ظل حقل واسع الأرجاء
 الظهر مستند الى صفصافة
 تهدى الشذا والنظل للغرباء
 والطير لحنى والجداول معزفى
 والأرض فرشى والسماء غطائى
 والجبن و « البتاو » داخل صرة
 وعلى مدى كفى « قلة » ماء !

☆☆☆☆☆

وديوان « أعاصير وأنسام » يحتوى على أكثر من
 خمسين قصيدة مقسمة الى عدة أقسام .

« الوجدانيات » ومنها قصائد « مراقى السمو »
 و « الصلوات » . « الوجدانيات » ومنها قصائد « أنعام
 الحياة » و « حكمة طائر » « أقباس » ومنها قصائد « الاسلام
 فى الأفغان » و « حديقة الذكرى العطرة » .

« اجتماعيات » وتزينها قصيدة « الأزهر الشريف » حيث
 تكلم الشاعر فى حكمة بالغة عن حسناته الكثار . وانها
 للفتة طيبة من شاعرنا أن يفى الأزهر الشريف حقه من
 الشكر والامتنان :

مازلت بعد الألف غضا يافعا
 مازلت روضا للمعارف يانعا
 يا معقل الفصحى التى بلسانها
 نزل الكتاب مفصلا ومجمعا

كم حاكم دانت لسطوته الرقاب
أتى يخب الى شيوخك خاضعا
كم جاهل وافاك في أسماله
يمشى على الأقدام غرا جائعا
فضمته مترفقا وغذوته
حتى غدا بالعلم نجما لامعا
أما فى قصيدة « يا رباه » فما أعذب هذه الأبيات :

مددت اليك يا رباه كفا
يجللها من القلب الخشوع
أتحرقنى بنارك يا الهى
وضعفى عند بابك لى شفيح
أعظم يا رحيم لديك ذنب
وعفوك بحره جم وسيع
فمن بالعضو والغفران يحظى
إذا ما فاز بالخلد المطيع .. ؟

ومن قصيدة « أنت منى ولكن » نستطيع أخيرا أن ندرك
موقف شاعرنا من المرأة ، انه صراخ رجل ثائر على
أوضاعها يريد لها الكمال ويؤله عجزه ، صراخ رجل أقسم
منذ عرف الله الا يجذبه سحرها الأثنوى والا يصيب قلبه
سهام لحظها الفتاك .

ويسألها فى تهكم واستنكار : أين هذا الضعف الذى
اشتهرت به وهى بقوتها تروض أغلظ الرجال ..

هل أنت يا حواء مخلوق يعد من الضعاف

أم أن أعتى الناس طفل في أناملك اللطاف ؟ ..

ويخاف الشاعر ظن السوء به فيفسر فسوته :

لا تحسبى حواء أنى عنك مشغول الجنان

هل أنت الا قطعة منى استقلت عن كياني

لا . لا أحبك سلعة معروضة للمشترينا

أو دمية تطلّى لتحلو في عيون الناظرينا

انه يريد لها سيدة البيت ، هكذا أراد الله . وهذا هو دورها في الحياة :

البيت يا حواء عش أنت فيه الروح تسرى

وحنانك الفياض بين رياضه الزهراء يجرى

★★★★★

ويضرب لها مثلا بالنحلة قائلا في بلاغة وحكمة :

انى رأيت مليكة النحل الحكيمة فى الخلية

قبعت جلالتها تدبر أمر هاتيك الرعيه

لا تشتكى مملا وضيقا فى القداة وفى العشيه

وهى التى بجناحها تطوى المسافات القصيه

ثم يتجه بها الى الله حيث يتجه هو دائما اليه ..

ورأيت أن الله زود كل جنس فى الخليقه

بخصائص فطرية ليشق فى الدنيا طريقه

كل معد فى الحياة لدوره .. وهى الحقيقه

★★★★★

ولقد أسهبت فى شرح هذه القصيدة لما فيها من

جمال فنى ظاهر .

ان ديوان « أعاصير وأنسام » ديوان لشاعر يصلى فى
غير كلفة ويعبد الله فى غير تظاهر .

شاعر لا يعرف التهريج والالتواء ، يكتب عن فن ودراية .
شاعر يجمع بين براءة الطفل وقلب الفنان وعقل
الفيلسوف .

شاعر يحملنا على التغفل فى أعماق أنفسنا لكى نعيش
فى سماحة وحب وصفاء .

فلنقرأ اذن ديوانه فى شوق واستيعاب . .
أما هو — الشاعر الحالم الرقيق المتأمل . . فلندعه كما
هو .

فى قلب دنياه الغريبة . . تجتاحه حيناً الأعاصير ، وتبل
جراحه الأنسام . .

يستلهم وينظم ويكتب ويعيش كما يقول هو . .

اننى أحيا غريباً وسط أقرانى وقومى
راحل عنهم بحس حاض فىهم بجسمى

★★★★★

ولا خوف عليه ولا حرج . .

قاله معه فى كل آن

الشاعر شوقي على هیکل فی دیوانه
کبریاء - وظلال و عیون

من روح الانصاف والعدل الخالص انبثقت فكرة هذه
الدراسة الأدبية *

بين يدي الآن مجموعتان من شعر الشاعر شوقي على هيكل
سعدت بهما ووجدت من الواجب أن أتقدم برأى فى شعر
صاحب هذين الديوانين *

« شوقي هيكل » وليحفظ القارئ الكريم هذا الاسم
جيذا ، فهو شاعر مبدع وقدير وان كان لم يأخذ نصيبه
المستحق من الشهرة *

ذلك لأن الشاعر ذو طبيعة جادة عفة ، يأبى التسلق
والتسلل ، ويعاف النفاق والمداهنة والرياء * وليس من شك
فى وصوله ذات يوم بجده واجتهاده الى مقدمة الشعراء وطلبة
الموهوبين منهم * * *

والشاعر شوقي هيكل حريص قبل كل شئ أن يقدم نفسه
بنفسه فى ديوانيه مما يسهل على قارئه عملية استيعاب
شعره وعلى ناقدته عملية العرض والسرد *

فهو منتسب الى عدة مناصب أدبية ، وهو حاصل على
شهادة تقدير من المجلس الأعلى للثقافة وعضو اتحاد الكتاب

وسكرتير تحرير مجلة « عالم الفكر » ونائب رئيس مجلس
ادارة جمعية العقاد وعضو مجلس ادارة جمعية الأدب والفكر
المعاصر ورابطة الأدب الحديث ونادى القصيد * وله عدة
دواوين تحت الطبع * *

وديان شوقي هيكل « كبرياء » هو ديوانه الأول طبع عام
١٩٧٩ م ولا أستطيع أن أقول انه متنوع الألوان والمضامين
فالديوان كما أرى خاص جدا بماطفة الحب عدا قصائد
معدودة عن الدين والوطن *

وقصائد الشاعر شوقي هيكل العاطفية فى ديوانه الأول
كلها تصلى فى غير كلفة أو تكلف فى محراب الجمال تسبيحا
وعبادة * * * انها خلاصة تفكيره وعصارة مشاعره ، ولو ترك
لنفسه الحرية آنذاك فى انطلاق ارادته لأخرج ملاحم عاطفية
تكفى لعشرة دواوين من الحب * ربما سيخرجها فى دواوينه
التي تحت الطبع *

وأنت تمسك أيها القارئ بديوانه « كبرياء » وما تكاد
تتصفح حتى يخيل اليك أنها قصة طويلة مروية وليست
ديوان شعر *

فكل قصائد الديوان تترى كأنها أحداث قصة تمر أمامنا
فى يسر وسهولة وتفصيل دقيق للوقائع وهو ما يسمى بالشعر
القصصى *

ففى قصيدة « حبيبتي ، رسالة اليك » يقول :

غابت بأطواء السماء الأنجم
والليل يؤذن بالرحيل فيعتم
ولقد جلست هنا بشرفة مكتبي
أرتو لها والكون حولي مبهم

من أين أبدأ فى الغرام رسالتى
وبأى لفظ للرسالة أختتم

ويمضى الشاعر فى صفحتين مزدوجتين يتساءل ماذا يقول
حتى يكمل قصيدته مكتفيا بكلمة « حبيبتي » مفسرا بها
مشاعره *

والحق أقول ان الشاعر شوقى هيكل ذو مقدرة لغوية
سليمة وقدرة على موازنة الصورة للتجربة وتجسيدها فى فن
وابداع *

وأما قصيدة « بين عهدين » فهي قصة تعد قصيرة وان
كانت أحداثها تلتهم الزمن الكامل بعمر طفلين صغيرين
تلاقيا على حب ، وكبرا على هوى ، وكانت نهايتهما نهاية
حب ضاع بين الوشاة * * يقول الشاعر :

تلاقينا	صغيرين	لقاء القلب والعين
وأول ما تلاقينا		تلاقينا حبيين
وطار الشوق هفهافا		ليعلن وصل روحين
الى أن صار ما صرنا		يضم الواحد اثنين
ومر العام بعد العام		يحدو ركب عميرين
كبرنا ضعف عميرنا		وصار الحب ضعفين
ورحنا نهتدى سعيًا		لنبني عش زوجين
فقام وشاتنا يسعو		ن للتفريق والبين
تجافينا فيا شتا		ن قلبى بين عهدين

واذا تركنا هذه القصيدة قابلتنا أخرى بعنوان « منأى
أن أراك » وهى تعد ملحمة شعرية تشرح كل ظروف
الحبيين ، وكذلك قصيدة « أول همسة » وهى من أروع
قصائد الشاعر فى ديوانه « كبرياء » ، فقد تجلت فيها

الموهبة والصدق والموسيقى وأشارت الى شاعر مجيد نجح
الى حد كبير فى التعبير عن تجاربه بأسلوب جرىء وحيوى،
فجمعت كل مشاعره الوجدانية وخواطره الكامنة مبدعا فى
دقة لتصوير والتزام الواقع .

وأما قصيدة « بنيتى » فهى تتربع وسط الديوان فى
بهجة وحبور ، حيث يقول :

بنيتى نحيله .. لكنها جميلة
« مى » اسمها كرسما حروفه ضئيله
لكنها فى جوهر كالدرة المصقولة

ويمضى الشاعر مفتونا بجمال ابنته الصغيرة فيقول :

جمالها سحر ترى فى وجهها دليله
جبينها بشرى صباح بالمنى طليله
نظراتها بريئة وعينها كحيله
رموشها خيوط ليل حالم سديله

وهكذا يظل الشاعر والأب يصف جمال ابنته « مى » الى
أن يهتف أخيرا :

بنيتى جميلة جميلة جميلة
تضمنى ، أضمتها ، نذوب فى تقبيله

أما قصيدة « فارس الغيب » فقد أثر الشاعر أن يبدو
فيها وكأنه فيلسوف حكيم فقد أخفى مشاعره الرقيقة
الوجدانية خلف ضلوعه فترة من الزمن حتى يستخدم العقل
فى السؤال عن كنه هذه الدنيا الغامضة :

أيها السائل فينا عن أمور خافيه
نحن ما نحن ؟ جسوم أم رسوم باليه

نحن من أين الى أين خطانا ساعيه
قد خلقنا * * فلماذا ؟ ليت نفسى داريه !
أى قصد حكمة الخلق اليه رانيه ؟!

ثم يختم الشاعر أسئلته فى مرارة وأسى ، ولكن فى خشوع
واستسلام مثل كل من مر بهذه الحيرة ، وعانى هذا الشعور :

« كلها أسئلة فى النفس تبقى جاثيه »

هكذا ينام القلب أحيانا عند الفنان ليستيقظ الفكر
الحائر * * متخبطا فى أسرار الكون * *

والقصيدة طويلة فاذا انتقلنا بعد ذلك الى ديوانه الثانى
« ظلال وعيون » المطبوع سنة ١٩٨٢ وجدنا أن ثلاثة أعوام
مرت بين الديوانين كانت كفيلة بأن تبرز هذا التطور الكبير
الواضح فى شاعرية الشاعر * *

وقد استهل الشاعر ديوانه الثانى بقصيدة « مع الحظ »
وفى اعتقاده أن فكرتها نادرة المثال ، انها توسل وابتهاال
لسيدنا جميعا ألا وهو « الحظ » عليه يكون من نصيب الشاعر
حين يقول :

أيها الحظ الذى نهفو له	كم سمعنا عنك لكن لم نرك
قد تأخرت علينا طلعة	فأجبنى ما الذى قد أخرجك ؟
أترى أنت خيالا لا يسرى	أم ضمير الغيب عنا أضمر
هزنى الشوق الى بعض السن	منك يبدو كاشفا لى جوهر
فمتى تظهر بالسعد لنا	يا بأمى وأبى من أظهر

ولا ريب أن الشاعر فى هذا الديوان « ظلال وعيون »
قد خرج من دنياه الضيقة ليصور بعض ما يدور فى قلوب
البشر ، وان كنت أعتب عليه فنادرا ما يختلس من الطبيعة

الربيعية العطرة ابتسامة مشرقة حتى نستطيع أن نقول انه
متفائل بالحياة اذ لا تخلو قصيدة ذاتية من شكوى وبكاء *

ولكن عزاءنا أن الديوان ضم عديدا من القصائد
الدينية والوطنية ، ففي قصيدة « المعجزة » تكلم الشاعر عن
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وخاتم المرسلين وهو
الكمال الآدمي فقال :

لم يرث النبوة التي توارث النبيون وما تهودا
لقد رأى الله الكمال الآدمي فى الورى فخصه محمدا
هو الكمال قدوة للناس فى ابداعه * لا من قرين أبدا
وليس فى ميلاده معجزة قام عليها دينه واعتمدا
وانما الاعجاز فى شخص الوليد الفذ بين الناس صار
الأمجد

ويتكلم الشاعر عن الدعوة المحمدية حيث دعا الرسول
قومه الى الحق وقاوم الشرك وحطم الأصنام ونادى بالتوحيد،
فيقول :

يا مولد التاريخ فى ماض أراه حاضرا فينا تجلى وغدا
ما أنت يوم فى زمان الناس بل أنت الزمان طالما تجددنا
ان هذه القصيدة تبدو كنزا دفيننا فى أعماق الأرض
ليت انسانا ما يكتشفها ليجسدها أمامنا تمثيلا والقاء ، فمنه
الظلم أن تهمل مثل هذه القصائد الشاملة على أرق معانى
الحياة *

ولقد اعتز الشاعر بوطنيته فى ديوانه الثانى فكتب عن
مصر والنيل وسيناء التاريخ والمستقبل فقال :

لا تقولوا هي بيد مقفرات
كم ظلال في رباها وارفات
تلك واحات نخيل باسقات
وعيون الماء فيها جاريات
حولها الغزلان حور فانتات
تلك والله جنان يانعات

ويحث الشاعر الشباب على صونها ورعايتها لتخضر
أرضها التي رواها الشهداء بدمائهم وبذلوا لاستردادها
عظيم التضحيات فهي مهبط الأنبياء . .

سار « إبراهيم » في الأرض و « ساره »
وسرى يوسف بيعا في تجاره
ثم موسى جاءها يرجو فراره
ثم عيسى جازها قبل البشاره
ليس فيهم طامع يبغى اماره
كلهم جاءوا عبورا لا اغاره

وهكذا خرج شوقي هيكلا في ديوانه الثاني من عالمه
الأوحد وأطل على الكون مستشرفا متمعنا ، بيد أنه لم يستطع
المكوث فقد هزمه الحب مرة أخرى وعاد به الى دنياه مناجيا
مسترحما . .

فتوالت بعد ذلك القصائد العاطفية من غربه وحنين الى
شوق ولهفة .

وبين ما كتبه شاعر الهوى والجمال تقف شامخة مزهوة
تتوسط أشعاره قصيدة « الى وليدى » وهى تتمم هامسة فى
أذنه :

« أنا كل شيء بالنسبة اليك ولن تجد فى ديوانك أصدق
وأغلى منى » :

ألا يا هـذـه الدنـيـا أطلـى
 بعين الحب واحتضنى وليدى
 على أرضى عرفت به مكانى
 وضم وجوده أبدا وجودى
 أراه الآن يرقـد فوق مهد
 مليكا عز فوق عروش مجده
 قد اقتحم الحياة اليوم طفلا
 فكيف نراه فيها بعد رشده ؟
 ويتسلل الايمان القوى فى قلب الشاعر فينظر الى وليده
 نظرة المعترف بقدرة الله :
 فانت اليوم معجزة تجلت
 وأجلت عن ضمير الغيب شرا
 صغير الحجم فى الدنيا ولكن
 وجودك آية فى الخلق كبرى
 ولى العهد قمت اليك بهرا
 أطيـر على جناح السعد طيرا
 حملتك فى ذراعى ازدهاء
 كانى قد ملكـت الكون طرا
 وانى اذ أختـم مقالـتى هـذه اعـتـز بـتـقـديـم ديـوانى «كـبريـاء
 و « ظلال وعيون » للشاعر الرقيق شوقى على هيكـل ،
 ويسعدنى أن أكون قد ساهمت فى القاء الضوء على شاعر
 يعد من أرق وأبدع شعراء الرومانسية فى عصرنا الحاضر ،
 شاعر شعره نفحات روح قلقة -

شاعر شعره نفثات صدر مكلوم حزين ،
والقلق والحزن هما من صفات الشاعر الأصيل .

انه شاعر ذو موهبة مواتية ومحصول زاخر من اللغة
والثقافة ، شعره يؤثر في قارئه ويتيح له العيش في جوه
زمننا ، وموسيقاه تتسرب الى النفس في سهولة وغبطة * *

وبعد * * أترك للقراء الكرام فرصة قراءة شعر الشاعر
الراقيق شوقي هيكلي حيث يقدرونه حق قدره * *

الشاعر فؤاد الخطيب في ديوانه

« ديوان الخطيب »

لا شك فى أن المجموعة الشعرية للشاعر العربى الراحل
فؤاد الخطيب تعطينا بعد الفراغ من قراءتها كثيرا من الراحة
والانبهار *

الراحة حين نعرف أن لغة الضاد مازالت بخير، والانبهار
من هذا الأداء الفنى الأصيل *

فالخطيب يعد أحد رواد الشعر العربى المعاصر ومن
أعذبهم لفظا وأسلمهم لغة وأحلامهم موسيقى *

فنحن اذن أمام شاعر قدير أقام للشعر العربى فى أرض
الحجاز أولا وفى العالم العربى ثانيا صرحا أدبيا شامخا ،
ومنح للغة العربية أكرم ما وهبه الله من نعم فكرية *

فقد عاش عمره كنموذج حى يدافع عن قضية اللغة
العربية السليمة *

ونحن حين نرى مدى موازنة أدائه الفنى للتجربة وكيف
استغل عناصر الصياغة من أخيلة ومعان وموسيقى ووحدة
عضوية ندرك مدى قيمة عطاء هذا الفنان الملهم *

ولد الشيخ فؤاد الخطيب عام ١٨٨٠ فى قرية « شحيم »

من أعمال جبل لبنان ، وهو ينتمى الى أسرة الخطيب المعروفة في الجبل وتلقى علومه الثانوية في كلية سوق الغرب ومنها انتقل الى الجامعة الأميركية في بيروت وبعد أن أتم دراسته فيها عام ١٩٠٤ بدأ نشاطه السياسى مشتركا فى الجمعيات العربية السرية التى كانت تطالب الأتراك باعطاء العرب حقهم فى الحرية والاستقلال ، وحفظ كيانهم القومى ولغتهم العربية .

ومقاومة سياسة التتريك التى انتهجها حزب « تركيا الفتاة » وحكم المجلس العرفى فى مدينة « عالية » ببلبنان على الخطيب بالاعدام ، ففر الى مصر يتابع فيها جهوده ونشر قصائده ومقالاته .

ثم سافر الخطيب الى الخرطوم بالسودان مدرسا للغة العربية فى كلية « غوردن » .

ومن السودان انتقل الى الحجاز وعمل بها رئيسا لتحرير مجلة « القبلة » ثم وكيلا لوزارة الخارجية فوزيرا لها .

وفى تلك الفترة من شبابه فى الحجاز نظم أربع شعره القومى والسياسى .

واستقر الشاعر الخطيب بعد ذلك فترة أخرى فى لبنان معتزلا الحياة السياسية حتى استدعاه الملك عبد العزيز طيب الله ثراه عام ١٩٤٥ الى الرياض مستشارا له ثم انتقل أخيرا الى « كابول » وزيرا مفوضا لجلالته فى أفغانستان فسفيرا فيها حتى توفاه الله عام ١٣٧٦ هجرية .

ولقد تخللات الفترة التى قضاها الخطيب فى كابول كوزير وسفير ثورة احساس عارمة شعرية لم تقيده الوظيفة بأغلالها فتجلت طاقته الفنية وجمال قلمه جولات رائعة وتدفق من

خلالها شعره الحى ومضى فى خضمه حتى شواطئ المعرفة
والمثالية ..

فقد عكف الخطيب على مطالعة الآداب الأوروبية عامة
والأديين الرومانى والانجليزى خاصة حتى حفظ الكثير من
شعر شكسبير فطعم شعره بكثير من المعانى المقتبسة من
الغرب ووضعها فى أسلوب جزل وعبارة بليغة بحيث غدا
الأسلوب والمعنى سائرين جنباً الى جنب .

وأصبحت لديه الجرأة فى التعبير والموهبة القادرة على
تصوير المعانى المبتكرة وعلى الأخص فى شعره الوجدانى
الرائع .

ولكن .. هل نسى الشاعر وطنه الثانى وهو يعيش فى
كابول ؟

كلا . لقد ظل وفيما لأرض الحجاز يتحرق شوقا الى اهلها
وكيف ينسى أرض الحجاز وهو القائل فى قصيدته « العنين
الى الحجاز » :

مهلا على فانى موجع دنف
وان لوعة نفسى فوق ما أصف
فياربوع الحجاز النفس فى ظمأ
اليك يصرخ من أعماقها إلهمف
انى لطوعك فى الحالين ما انعرفت
حالى ولاهى حتى الموت تنعرف
ونحن أرسخ أهل الأرض آصرة
والشمل مفترق والشمل مؤتلف
أصبحت بعدك حتى الحزن يحزن لى
أنا الأسيف الذى يرثى له الأعداء

ليت السطور أحست روح كاتبها
 وهل يحس بقدر اللؤلؤ الصلدف
 وما أحبك أرضا كم حلت بها
 تقبل الأرض قبلي الأدمع الذرف
 ان العجاز دعاه الله لى وطن
 فيه الهوى والجوى والوجد والشغف

★★★★★

أجل ، لم ينس الشاعر وطنه الثانى فقد امتلأ ديوانه
 بوصفه وهو هنا يذكر مدينة الطائف ورياضها الغناء وما سلف
 فى صدر شبابه من مرح وغبطة حين يقول فى قصيدته
 « الطائف » :

أنا فى الطائف أستوحى الشعور
 ان فى الطائف بعثا ونشور
 فلقد حدثنى رمانها
 أنه كان نهودا فى الصدور
 وروى لى البان عن أعطافه
 أنه كان قلدودا وخصور
 نثر فى أرضها حباؤها
 دررا تنجم منها وشذور
 ومشى الجدول فى أرجائها
 كوثر يسبح فيها ويمور
 جلس الزهر صفوفها حوله
 وهو كالراح على الشرب يدور

كلما استضحك عن لؤلؤة
 هتفت في فنن الأيك الطيور
 قل لمن ألهمها تسبيحها
 هكذا الجنة والعبد الشكور
 وأبى العوسج إلا فتنة
 فزوى الشوك بأواء الصغور
 يرصد الغفلة أن يعلق بي
 علق الفاجر بالعف الوقور
 طبعه الوخز إذا استشده
 قبح العوسج من شاهد زور
 كم نفضنا الصدر من كل أسي
 ونسينا الصد والجند العثور
 وقضينا اليوم في ظل الهوى
 ليت ذاك اليوم قد طال شهور
 ★★★★★

وأترك لك بعد ذلك أيها القارئ الكريم أن تهمس
 برأيك في القصيدة السابقة .

ولكن .. وقد عاش الشاعر وفيها لأرض الحجاز فهل
 نسى أهلها وهم قد غدوا أهله ، وكيف ينسى وقد تكفل نفر
 منهم بشرح ألفاظ الديوان وتكلف مشقة جمعه لكي يخرج
 من الظلمة الى النور .. وتكرمت الأسرة المالكة بما حباها
 الله عز وجل من عظيم الخلق فأخذت بيد الشاعر وشدت من
 أزره :

ومن كآل سعود في مناقبهم
 اذا تيجج بالألقاب مفتخر

الذائدين عن الاسلام تافههم
حمية عرفتها الكتب والسـير

وشاعرنا الراحل فى أغلب قصائده يعرض لما يسبح فى
الخاطر أو ما يرسم فى العين من شتى الصور ومن ألوان
الخيال ، يعرضها فى طلاقة •

انه شعر ينبع من شخصية ناضجة وانسانية رقيقة •
ففى قصيدته «القصر البالى» وهى تذكرنا بشاعر فرنسا
الرقيق « لامارتين » حين وقف أمام دار أسرته ينعاها
ويرثى من كان يسكنها كما وقف الخطيب يتساءل أين ذهب
أهل هذا القصر :

ياقصر قل لى أين أهلك ؟ ما الذى
عراهم ، أما من هاتف فيك ذى خبر

الم تكن الأيام تجرى بأمرهم
فأما الى يسرى وأما الى عسى

أأنت هو الصرح الذى كان راسنا
تزهج حتى أنك صغرا على صخر
أ تلك هى الدنيا ؟ أهذا مآلها
لعمرك ان المسلمين لفى خسر

وأما فى قصيدة « وقفة فى سلع » وهى مدينة فى الأردن
منحوتة بأسرها فى الصخور واسمها القديم « بطره » فقد
وقف الشاعر أمام هذه الأطلال يستخرج منها العبرة والحكمة
بفلسفته :

واد تحف به الشوامخ ممعن
فى السفح أريد قالص السربال

يهندس آونة ويسنح تارة
 خلف الوهاد ومن وراء جبال
 متمسرج يلتف غير معرج
 ويجول حين يهيم كل مجال
 كالشائف أنتهز الفرار تسللا
 فمشى الضراء ولج في الايغال
 بلد كأن يدا دحته فخر من
 قلل الجبال ممزق الأوصال
 فهنا الصخور على الصخور تحطمت
 وهناك منه حقيقة كخيال
 موت تنطوت به الحياة وموقف
 خشعت لديه طوارق الأهموال
 تمضي القرون على القرون كأنها
 وقد انحدرن اليه بضع ليال
 فانظر الي الأمصار كيف تنكرت
 والى القضاء يصول كل مصال
 والى الأنعام تلفهم أكفانهم
 بعد الجهاد ونصرة الأممال
 وأفزع الى الملك المهيمن فوقهم
 فالعلم مل تنطس الجهال

★★★★★

فلننظر ولنستوعب جمال هذا البيت وأدائه الفني
 الرائع :

بلد كان يدا دحته فخر من
 قلل الجبال ممزق الأوصال
 ولنتضمن فى هذا التآلف اللفظى والتباین الزمنى فى
 البيت التالى :

تمضى القرون على القرون كأنها
 وقد انحدرن اليه بضع لیسال

فما من شك فى أن الأداء الفنى فى شعر الشاعر فؤاد
 الخطيب يتمثل فى قدرته على الصياغة وعلى موهبته
 الأصيلة وإيمانه بالحقائق التى يضمناها شعره .

ان هناك عوامل عديدة فى الديوان غرست فيه العناصر
 الجمالية بمفهوماتها الفنية ، هناك مثلاً الحرية لا فى الأسلوب
 بل فى التفكير ، الأمر الذى مكن الشاعر من الانطلاق فى
 تجاربه فى أمانة وصدق .

ولنعط مثلاً على ذلك فى بعض أبيات من قصيدته «عبث
 الخلیع» وقد ظفر بكل النواحي الجمالية .

وسواء وصف الشاعر فيها بعض الخلعاء وأراد أن يذكر
 شيئاً من ألوان وجددهم وحوارهم أم هى فعلاً تجربة ذاتية .
 فأنها على أية حال قد استطاع بها الشاعر وبغيرها أن
 يعطينا ناحية من النواحي الجمالية فى شعره .
 يقول على لسان الحبيبة بعد سماعها غزله :

قالت : اليك .. فشد ما ذكرتنى
 بك يوم كنت تصول فى الميدان
 فعضضت من شففى لم تفلتهما
 حتى استجرتك فامتصت لسانى

وحللت من شعري القصاص فررفت
 خصل على من القصاص حـوان
 وكتبت بالقبل التي قد حددت
 خدى أنك كنت أقطع جـوان
 هي لا تعد ولا تعد وكم مضت
 لك قبلة وكأنها مـتـوان
 لا من النواحي الجمالية أيضا في الديوان ذلك التلاعب
 بالألفاظ بحيث يلتقي النفور بالانسجام والتباعد بالتقارب
 في نظام حركي متآلف ، مثال ذلك في نفس القصيدة :
 من ذا الذي بالخور يكفر بعدما
 شهد الذي هو فيك من برهـان
 ما انك يعوزه اليقين مجسـما
 حتى هربت اليه من رضـوان
 أنا ان فعلت فان أربـع أرجل
 لأحق بي في المشى لا رجـلان
 وفيها أيضا تلك التشبيهات المبتكرة الرائعة التصوير
 مثال ذلك :
 أنا لست أوجس من دلالـك خشية
 هو طاعة في صورة العصيـان
 كالقوس تبدى الصـد اذ هي تنحنى
 للسهم قد ضمته ضم حـنان
 ومن العناصر الجمالية أيضا هذه الفلسفة المغلفة
 بالدعابة الساخرة :

وتبسّمت من عاشق متفلسف
ملك البيان فبذ كل بيان
بنتان علمتاه أبلغ حكمة
بنت مهفهفة وبنت الحان
فاعجب لأستاذين يقبس منهما
ما شاء من أدب ومن عرفان

وفى الديوان نماذج عديدة من هذه التشبيهات البالغة
الدقة فى قوتها التعبيرية مثال ذلك وهو يتكلم عن « الشعرة
البيضاء » :

انظر الى الشعرة البيضاء ان لها
معنى الهزيمة والتسليم للزمن
كانها الراية البيضاء يرفعها
فى الحرب من لم يطلق صبرا على المحن
ويقول فى وصف الهوى :

والنار يفضحها انبعاث دخانها
كالصب حين يصعد الزفرات
يبكى ويضحك فى الظلام كشمعة
تذرى الدموع وترسل البسمات
ويصف لغة العيون الماشقة فيقول :

لغة ولا لفظ وما لبيانها
للناس فى كل اللغات بيان
ياويح لى من ذلك الجسد الذى
غلب المروق عليه والعصيان

فى فطره « الحيوان » فيه وما ارعوى
مما يصر ويطلب الحيوان
فسألت نفسى أين يا نفس الذى
هو فيك يوصف أنه الانسان

☆☆☆☆☆

لله درك أيها الشاعر الكبير ، طيب الله ثراك ، يا شاعر
الفكرة الملهمة والرسالة الأمانة .
أبدا لم تأمرك القوافى ولا الأوزان ، بل مضيت كقطار
سريع يحمل أطنانا من الأثقال فى خفة عصفور يحلق فى
اللانهاى الرحيب .
لقد كنت صادقا فى قولك حين قدمت لنا شعرك فى مطلع
ديوانك :

« ان هذه المجموعة الشعرية صدرت فى بردها القشيب
تثلج صدر الأديب لما انطوت عليه من البيان العربى الجزل
والديباجة الأدبية المحكمة يؤدى بهما الفكر الجديد من حكمة
وفلسفة ومن وصف وغزل ، ومن خطير القضايا القومية وفى
الطليعة « قضية فلسطين » .

« تم الكتاب بحمد الله »

فهرس

- كلمة ٥
- الدكتور أحمد هيكمل فى ديوانه (اصملاء الناي) . . . ٧
- الشاعر عوض الوكيل فى ديوانه (قراشيات ونوار) . . . ٢٢
- الشاعر فتحى سعيد فى ديوانه (بعض هذا العقيق) . . . ٣٣
- دكتور كيلانى حسن سسند فى ديوانه (فى انتظار المطر) . . . ٤٥
- دكتور يوسف عز الدين فى ديوانه (فى ضمير الزمن) . . . ٥٥
- الدكتور مختار الوكيل فى ديوانه (موكب الذكريات) . . . ٦٥
- طاهر زمخشري فى ثلاثة دواوين ٧٥
- دكتور عبده بدوى فى ديوانه (الحب والموت) . . . ٩٣
- دكتور سعد ظلام فى ديوانه (ارواح وأعاصير) . . . ١٠٧
- دكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى ديوانه (أشواق الحياة) . . . ١٢١
- الشاعر كمال النجمى فى ديوانه (الانداء المحترقة) . . . ١٣٥
- دكتور عبد العزيز شرف فى ديوانه (الى نبع الحب) . . . ١٤٩
- محمد عبد الرحمن صان الدين فى ديوانه (أعاصير وأنسام) . . . ١٦١
- الشاعر شوقى على هيكمل فى ديوانه (كبرياء وظلال وعيون) . . . ١٧٥
- الشاعر فؤاد الخطيب فى ديوانه ١٨٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨٩/٧١١٥

ISBN - ٩٧٧ - ٠١ - ٢٢٣١ - ٩

هذا هو الجزء الثانى من كتاب «وقفة مع الشعر
والشعراء» ويتناول أعمال مجموعة من الشعراء هم :
أحمد هيكى ، والعوضى الوكيل ، وفتحى سعيد ،
ويوسف عز الدين ، ومختار الوكيل ، وظاهر زمخشري ،
وعبدى بدوى ، وسعيد ظلام ، ومحمد عبد المنعم
خفاجى ، وكمال النجمى ، وعبد العزيز شرف ، ومحمد
عبد الرحمن ، وفؤاد الخطيب ، وشوقى على هيكى .
وفى هذه الدراسة تقدم الكاتبة معايشة كاملة لشعر
هؤلاء الشعراء متلمسة أعماق مشاعرهم وسياحاتهم بين
عالم الواقع وعالم الخيال .